

د. محمد بن سرار اليامي

الحياة متعة

قوانين لحياة حلوة

دار الظاهرية

الحياة متعة

ويليها

المفتاح



الطبعة الأولى
١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م



الكويت- الجهراء- القيصرية القديمة- مجمع كابيتول مول- السرداب- محل ٢٤
Website : www .daradahriah .com
E-mail : daradahriah@gmail .com
(+965) 99627333 - (+965) 51155398

الموزعون المعتمدون

دار أندلسية للنشر والتوزيع
(الكويت)
darandalusia@hotmail.com
(+965) 94747176

دار التدمرية للنشر والتوزيع
(الرياض)
tadmoria@hotmail.com
(+966) 114925192

مكتبة الميمنة المدنية
(المدينة المنورة)
daralmimna@gmail.com
(+966) 558343947

مكتبة الشنقيطي للنشر والتوزيع
(جدة)
hassan_hyge@hotmail.com
(+966) 504395716

المكتبة الأسدية للنشر والتوزيع
(مكة المكرمة)
alasadi2000@hotmail.com
(+966) 125273037

مفكرون الدولية للنشر والتوزيع
(مصر الجديدة)
mofakroun@gmail.com
(+2) 01110117447

الحياة متعة

قوانين لحياة حلوة

د. محمد بن سرار اليامي

دار الظاهرية للنشر والتوزيع



إهداء

إلـى الإمام الهمـام، والذكي المقـدام.. إلى رجل سـبق زمانه، ونافس أقرانه، وكسـب بلا منـازع رهانه..

كانـت أهدافـه واضحـة، وغاياتـه جليّـة.. ولـم يكن يومًـا سـلبيًّا فيما نُقِـلَ عنـه...، بـل كان بائعًـا للريحـان فـي كل مكان..، مسـاهمًا في إسـعاد محيطـه، ومـا محيطه، إنـه العالم بأسـره إلى النفـس الزكية، والقامـة العليّة، العالـم الجليـل، والعَلَـم النبيـل العلامـة عبدالرحمـن بن ناصر بن سـعدي -رحمـه اللـه رحمة واسـعة- .

أهدي هذه القوانين.. التي ساهم من خلال سيرته في بنائها..

محبك

د. محمد بن سرار اليامي



متعة

* حياتك أثمن من أن تهدرهــا في بناء علاقات مزيفة تقوم على المجاملة، أو صداقات هشّة، تتزعزع أول الطريق، أو كتب رديئة تجلب لك النعاس فحســب، أو أماكن لا تشعر بالانتماء لها.

* ابحث عن المتعة وستجد نفسك حقا..، لأنك جدير بحياة ســعيدة يعمرها الحبُّ والإيمان والطموح...

تقدمة

عَشْرُ خصال .. لمتعة الحياة..

هي متعة الحياة ..

إن أتممتها فمن عندك وإن نقصتها ..

فالأمر إليك فانظر في حالك.

عـادات عشـر لأهـل السـكينة الروحيـة تضـئ مصابيـح الـدروب .. وتمنـح الحـب والوقايـة والكفايـة.

بهـا طيب النفـس، وراحة البـال، بعد الإيمـان بذي الجـلال والكمال سبحانه ..

بها ترسو قواربُ الحياة في ميناء الأمن النفسي ..

وتحيا المتعة .. وقد جمعتها في أركان عشرة هي:

١ – تحديد الهدف.

٢ – تقبل واقعك.

٣ – ليكن توقعك إيجابياً.

٤ – عبر عن مشاعرك.

٥ – لتكن دائماً إيجابياً.

٦ – اجعل الهمّين هماً واحداً.

٧- لا تقلب المواجع.

٨- كن قارئاً جيداً.

٩- لا تيأس.

١٠- إياك والدعاوى الباطلة.

فهـذه العشـرة مفاتيـح متعـة الحيـاة للذيـن يحظـون برضـى تـام عن ذواتهـم .. ويبحـرون فـي بحـور السـعادة والطمأنينـة إلـى مرسـى الرضـى والتسـليم .. وسـكينة الـروح..

فإلى هذه الباقة الماتعة لحياة ماتعة، ومتعة حياة صادقة.



هدفك .. هدفك ..

إنَّ الناجحيـن أصحـابُ أهدافٍ سـامية، ومطالب غاليـة .. ولو تأملت ملعـب الكـرة على بسـاطة فكرته تجـد أنَّ الهدف هـو الجهة الأساسـية في الملعب، ليسـدد اللعيبـة إليه، فيحققـون التنافس ...

هـذا علـى نطـاق الرياضيـة، فكيـف لـو كان هـذا علـى نطـاق الحياة أجمـع ...

إِذَاْ .. فيجـب تحديـد الأهـداف في حياتنا لنشـعر بالمتعة كلمـا اقتربنا منهـا .. وأعظـم الأهـداف مـا كان فيهـا تحقيـق أعظـم الغايـات، وأكمـل النهايـات وهـو رضى الله -جَـلَّ وَعَـزَّ- والجنة، هـذا الهدف الغائـي العام فـي الحياة.

ولا بـد مـن أهـداف جزئيـة تصـبُّ فـي هـذا المصـبّ، ويحقـق فيهـا الإنسـان نجاحـات وتقدمـات ممـا يجعلـه فـي رضـى عـن نفسـه، وعـن تقدمـه فـي تحقيـق مـراده.

وكثيـر مـن الناس لو سـألته عن أهدافـه لأجابك بعموميـات لا تخرج منهـا بشـيء إلا أنـك لم تفهمهـا .. ولا هو يفهمهـا، ومع هذا كلـه لم يجعل لـه وسـائل مشـروعة لتحقيقها، ولم يجعل أيضـاً أهداف جزئيـة ليحققها ..

ولقـد جلسـت مع شـاب لـم يجاوز العشـرين مـن عمره، فسـألته عن أهدافـه، فـكان الجواب مخجلاً جـداً ...

وإذا بهذا الشاب يحلم بسيارة، ووظيفة، وزوجة، فقط ...!!!

فقلت له:

لقـد أبعـدت النجعـة، وتنكبـت صـراط الأمن النفسـي والحسـي في ذلك .

قال: وكيف..؟!!

قلت: ما هو السبب الذي خُلقت من أجله، وكلنا يعلم ذلك؟!..

قـال: عبـادة اللـه، والدليـل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريـات:٥٦]...

قلـت: فهـل مـا ذكـرت وسـائل لتحقيق هـذا الأمر فقـط بـدون النظر فـي حسـن القصـد منها...

قـال: لا .. أريـد سيارة لأكـون حـراً فـي تنقلاتـي، وأريـد وظيفـة لأصرف على نفسـي وأشـتري ما أشـتهي، وزوجـة لأن الرجـال يتزوجون، هكـذا فقـط لا غير.

فقلـت لـه: إِذًا راجـع أهدافـك فـي ضـوء السـبب الـذي خلقـت من أجلـه، واجعلهـا خادمـة لهدفـك الرئيـس، تعـش متعـة الحيـاة بحـق.

وأعلـم أنَّ الفشـل والسـقوط مـن أول الطريق في التخطيـط للأهداف يقـود إلى التخطيط للفشـل ..

فالضياع يقود إلى الضياع، والسقوط مفتاح السقوط ...

إنَّ صناعـة الحيـاة لا تكـون إلا ببناء أهداف وجعل وسـائل مشـروعة

لتحقيقهـا، ولـن ينجـح مـن عـاش فـي عالـم الـرؤى والأحـلام، مـا لـم يسـتيقظ، ويوقـد شـمعة الهمـة فـي دنيا الظـلام...

ثـم انتـق مـن الأهـداف أشـرفها لا ألذهـا .. فالشـرف بالشـرف... واللـذة يعقبهـا حسـرة...

الحرمان.. غالباً..



متعة

* شجاعة الروح هي الأمل.

* تعثر الوعي هو الوهم.

* ليست الكراهية سوى زفرات الأرواح البغيضة.

أينَ الهدف؟!

حـدد أهدافـك، وليكـن السـؤال هـو أول هاجـس، لتكـن وسـائل الوصـول إليـه هي الهاجـس الثاني مباشـرة، ولا بُدَّ من توافـقِ وتجانس بين الأهـداف والوسـائل، وليكـن هـذا الهدف يحقـق غاية عُظمى فـي حياتك.

الرضـى «باللـه ربـاً» لا يكون إلا بإخـلاص العمل له وحده لا شـريك لـه، وإفـراده دون من سـواه بالطاعة والعبـادة والقصـد والإرادة ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينـة: ٥] ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾ [الزمـر: ٣] ﴿ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسـان: ٩].

والرضـى «بمحمـد -صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ- نبياً ورسـولاً» لا يكون إلا بصـدق متابعتـه والعمـل بسـنته، والاقتداء به، وحسـن التأسـي والطاعة فـي المنشـط والمكـره، والمحبـة ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمـران: ٣١] ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ ﴾ [النور: ٥٤] ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [المائـدة: ٩٢].

فطاعـة اللـه مطلقة، وطاعة رسـوله -صَلَّىٰ اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ- مطلقة، وطاعـة ولاة الأمـر مـن العلمـاء والأمـراء مُقَيَّدة بطاعـة الله وطاعة رسـوله -صَلَّـىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ-.

والرضـى «بالإسـلام دينـاً» لا يكـون إلا بأن يكـون الهدف مشـروعاً، والوسـائل أيضـاً مشـروعة، والغاية هنـا لا تبرر الوسـيلة ...

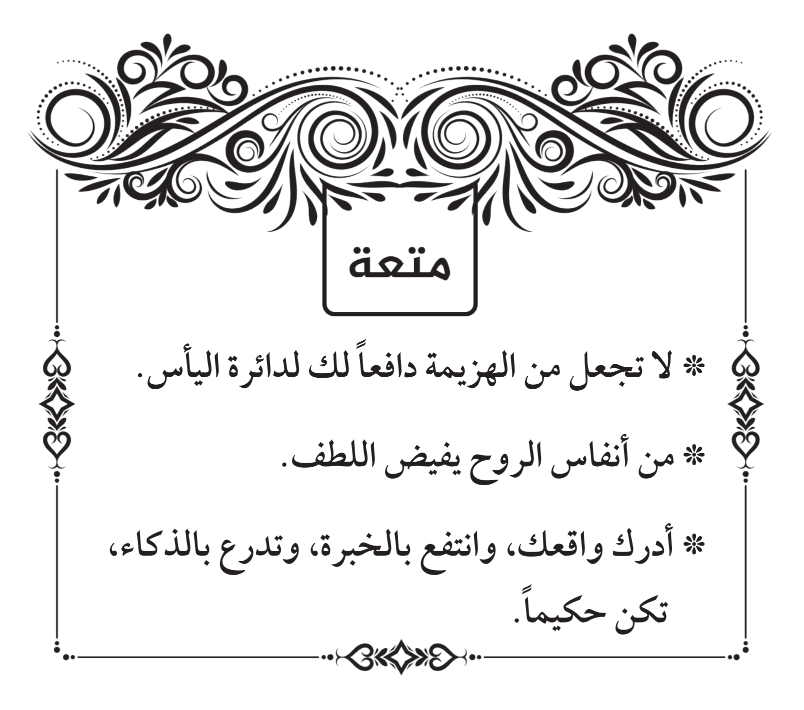
فـلا بُـدَّ أن يكـون العمـل مما شـرعهُ اللـه، أو لا يضـاد أمرَ اللـه، وأن تكـون الوسـائل المعـدة لتحقيقـه مشـروعة صحيحة.

بهـذا يحقق الفـرد معنى الرضى باللـه رباً وبمحمـد -صَلَّىٰ اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ- نبياً ورسـولاً، وبالإسـلام ديناً، وفـي الحديث أنَّ مـن رضيها «كان علـى اللـه حقاً أن يرضيـه» تكرماً وفضـلاً منه -جَـلَّ وَعَزَّ-.

فتحديـد الأهـداف مُفَـرِّحٌ للنفـس وتحديد الوسـائل لتحقيقهـا حاثٌ للـروح علـى دروب النجـاح، والوصـول إلـى المأمول ..

فـإذا وصـل الفـرد كان سـعيداً كلَّ السـعادة، راضيـاً عـن نفسـه كلَّ الرضـى مسـتمتعاً.

وانطلـق إيجابيـاً منتجـاً مـن نجـاح إلـى نجـاح ومـن فلاح إلـى فلاح تلاحقـه الهمـة والوثّابـة والعزم الصحيح والوسيلة المشـروعة المناسـبة.. إنهـا متعـة الحياة يا سـادة ..



متعة

* لا تجعل من الهزيمة دافعاً لك لدائرة اليأس.

* من أنفاس الروح يفيض اللطف.

* أدرك واقعك، وانتفع بالخبرة، وتدرع بالذكاء، تكن حكيماً.

تَقَبَّلْ واقعك

تَقَبَّلْ واقعك بلا قيود ولا شروط، ولا حدود، فهذا وقعك وهذه حياتك، فإن شئت قضيتها في نحيبٍ وعويل على ما فات؛ وإلا في نجاحٍ وطموح ... أنت ... هو أنت ... بشحمك ولحمك، ووجهك هو وجهك بتجاعيده، وبنتوءاته .. فتقبل واقعك، وأرضَ به .. ولا تجعل منه هاجساً يحطم السعادة في حياتك .. لتحمل مفتاحاً آخر من مفاتيح متعة الحياة.

تزوج أحد الزهاد، صالحةً جميلةً وكان دميماً .. فنظر إليها ذات يوم وقال لها: بليتُ بكِ، فأشكر، وبليتي بي فأصبري .. وعاشا سعيدين .. والمقصود: هو أن نرضى بواقعنا بلا شروط أو قيود، ففي هذا الرضى سعادة للنفوس وترياق للهموم، ومتعة للحياة ..

وإن كنت فقيراً معدماً من ذهب الدنيا وجواهرها، ورغائبها، فارض بواقعك فليست السعادة تُشترى - والله- بالمال أبداً .. «ولكنَّ التقيُّ هو السعيد» .

تقبل نفسك على ما فيها، فإنَّ من لا يشعر بالرضا عن نفسه لا يملك الثقة بها مما يجعله متقبلاً للهزيمة والإخفاق، وهذا ديدن عديمي الثقة بذواتهم.

بل ويجعله أيضاً مُضَخَّماً لهذه الهزائم بشكل يحكي عمَّا في

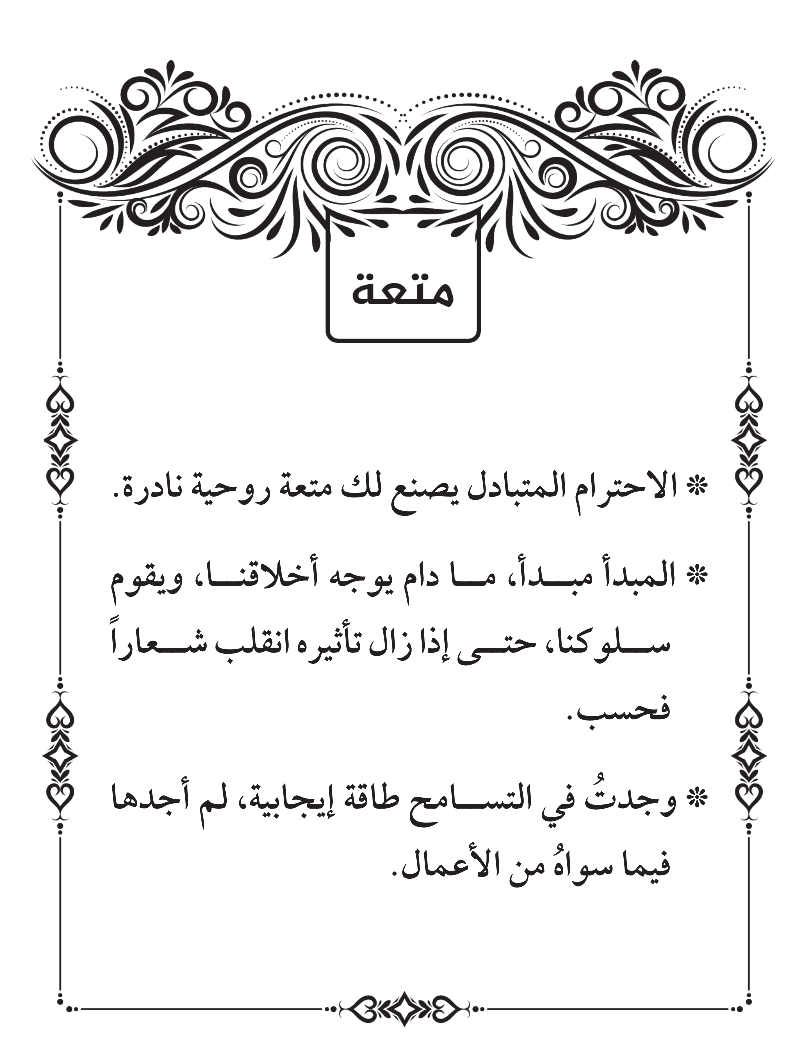
نفسـه مـن ضعـف وعـدم رضى ثـمَّ يجعـل خططـه المسـتقبلية مرتبـةً على مثـل هـذه التنبـؤات المظلمـة؛ فيـا بشـارته بالبـؤس فـي حياتـه.. وبضيـاع مفتـاحِ مـن مفاتيـح متعتـه بالحيـاة ..

وأما صانعُ الحياة فطعمٌ آخر..

متقبـلٌ لواقعـه .. مبـادرٌ إلـى النجاحـات والإبداعـات واللمـوع .. لا ينـدب حظَّـه علـى حظِّه.

وإنما جهادٌ ونيَّة، وعطاءٌ، وبذل.

فالذي يُولَدُ ليزحف لا يطير، وأنَّ الذي يُولدُ ليطير لا يزحف ..



متعة

* الاحترام المتبادل يصنع لك متعة روحية نادرة.

* المبدأ مبـدأ، مـا دام يوجه أخلاقنـا، ويقوم سـلوكنا، حتـى إذا زال تأثيره انقلب شـعاراً فحسب.

* وجدتُ في التسـامح طاقة إيجابية، لم أجدها فيما سواهُ من الأعمال.

البنك المتنقل

استمتع بما لديك؛ فأنت تحيا في فضائل وخيرات وقدرات ومهارات فاحمد الله ...

نظر رجل من نافذة السجن، فرأى الكون والضياء، والنور، والسناء، وتفكر فيما حوله من نبات وخضرة، ثم أعاد النظر في نفسه التي بين جنبيه ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١].

فوجد أنه قد حُرم من الحرية لمدة معينة، ولكنه يحمل منجماً من النوادر الثمينة، تأمل في آية اليدين والرجلين والعينين، والأذنين والمنخرين، كيف أنَّه جعل لكل عضوٍ عوضاً عنه ولو فقد، ومن الأعضاء الخطيرة جعل عضواً عضواً ..

فجعل اللسان عضو، والرأس عضو، والقلب عضو، والفرج عضو، ليخف على صاحبها مأثمها، فاللسان بين اللحيين والفكين ليمنعانه من الاستطالة في أعراض الأبرياء، والفرج بين الرجلين وفي أسفل الجسد حتى لا يكون شغلاً شاغل، فسبحان المعطي، -جَلَّ وَعَزَّ-.

ولمَّا نظر صاحبنا إلى هذه الآية في بدنه علم أنه لم يخسر في حياته إلا أمراً يسيراً، بمقابل ما حَصَّلَ من فائدة .. فمتعة الحياة السعادة وطمأنينة راحة البال، والفرح بِنِعَمِ ... وهذا دأب كبار الأخلاق ..

يحيلـون المحنـة منحـة؛ والقاعـدة تقول:

«استمتع بمـا لديـك». وعـش سـعيداً فـي ظـل النعـم العظيمـة التي أنعـم بهـا عليـك المنعـم جلَّ شـأنه.



متعة

* الضمير الحي هو معيار التقدم الحقيقي.

* فِرَّ من المتشائم فرارك من الأسد.

* الرحمة جسر رباني تعبر عليه الأرواح المنهكة.

عندما تتكلم الصورة

قال إيليا أبو ماضي:

كَم تَشتكي وَتَقولُ إِنَّكَ مُعدِمُ — وَلَكَ الحُقولُ وَزَهرُها وَأَريجُها

وَالماءُ حَولَــــكَ فَضَّةٌ رَقراقَةٌ — وَالنورُ يَبني حَولَكَ في السُفوحِ

فَكَأَنَّهُ الفَنّانُ يَعــــرِضُ عابِثاً — وَكَأَنَّــــهُ لِصِفاتِهِ وَسَـــنائِهِ

هَشَّت لَكَ الدُنيا فَما لَكَ واجِماً — إِن كُنــــتَ مُكتَإِباً لِعِزٍّ قَد مَضى

أَو كُنتَ تُشفِقُ مِن حُلولِ مَصيبَةٍ — أَو كُنتَ جاوَزتَ الشَبابَ فَلا تَقُل

أُنظُر فَما زالَت تَطُلُّ مِنَ الثَرى — وَالأَرضُ مِلكُكَ وَالسَما وَالأَنجُمُ

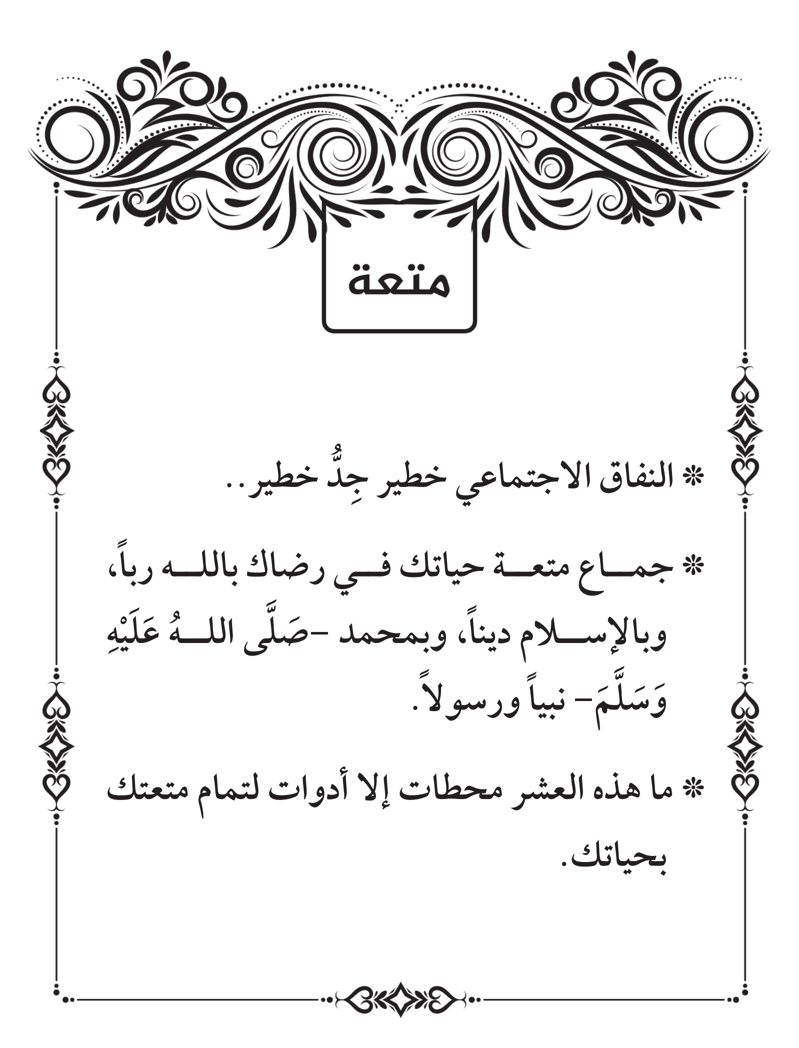
وَنَســـيمُها وَالبُلبُلُ المُتَرَنِّمُ — وَالشَمسُ فَوقَكَ عَسجَدٌ يَتَضَرَّمُ

دوراً مُزَخرَفَـــةً وَحيناً يَهدِمُ — آياتِهِ قُـــدّامَ مَـــن يَتَعَلَّمُ

بَحرٌ تَعومُ بِــــهِ الطُيورُ الحُوَّمُ — وَتَبَسَّــــمَت فَعَلامَ لا تَتَبَسَّمُ

هَيهاتِ يُرجِعُــــهُ إِلَيكَ فَتَندَمُ — هَيهاتِ يَمنَــــعُ أَن تَحِلَّ تَجَهُّمُ

شـــاخَ الزَمانُ فَإِنَّهُ لا يَهرَمُ — عُصورٌ تَكادُ لِحُســـنِها تَتَكَلَّمُ



متعة

* النفاق الاجتماعي خطير جِدٌّ خطير..

* جمــاع متعــة حياتك فــي رضاك باللــه رباً، وبالإســلام ديناً، وبمحمد -صَلَّى اللــهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نبياً ورسولاً.

* ما هذه العشر محطات إلا أدوات لتمام متعتك بحياتك.

اصنع من اللاشيء أشياء

واستفد من عاداتك الحياتية، وتجاربك اليومية في راحة بدنك، وطمأنينة نفسك، واجعل من هذه العادات دافعاً لصناعة المتعة في حياتك، فإذا نمت فليكن نومك في مكان مهيأ ومريح لتستفيد من هذه العادة في تنشيط بدنك، وصفاء ذهنك..

وإذا أكلت فلا تدخل الطعام على الطعام، وتخير من الطعام أجوده وأنسبه لك...

فقد كان بعض أهل العلم يحرص على أكل أصناف من الطعام، ويحذر من بعض الأصناف، فكان حبيبهم الزبيب، وعدوهم الباذنجان.

وقد أثر عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي أنه كان -رَحِمَهُ اللَّهُ- كثيراً ما يصطحب الزبيب في جيبه.

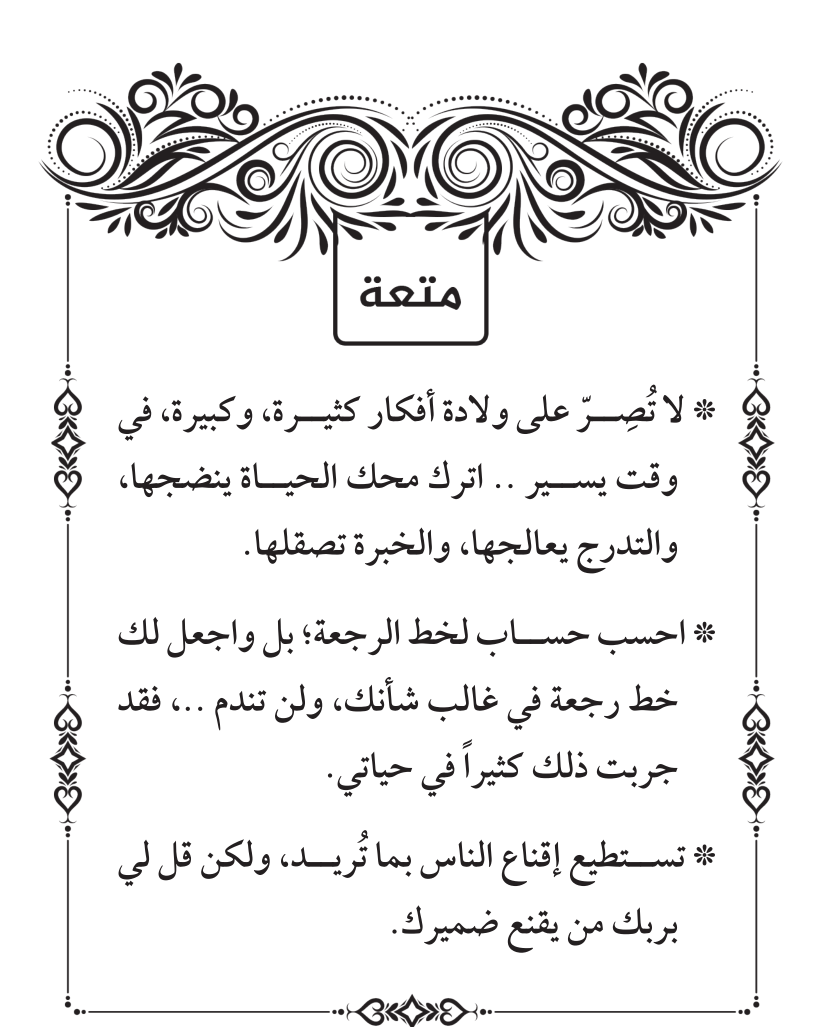
وأيضاً فإن من التوفيق الأخذ بالأسباب التي سببها الله -جَلَّ وَعَزَّ-، فجعل العلاج سبب في شيء من الشفاء، والطعام سبب في الشبع، وهكذا...

وقد أثر أيضاً عن ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ رحمةً واسعة- أنه كان يعتني بطعامه، ومنامه، وبعض عاداته، وذلك لأن يستفيد منها في راحة بدنه، وتهيئة الجو المناسب للحفظ والفهم والاستنباط ...

وإن كان مذهـب بعـض من قَنَنَ الإبـداع أن الفقر، والجـوع، والتعب، والنصـب تذكـي جـذوة الـروح، وتوقـد شـعلة العلـم والفهـم والمنافسـة والاستنباط.

وهذا لأحوال وذاك لأحوال؛ هذا الصحيح عندي. وعليه العمل.

وقـد أثـر عنه أيضـاً -رَحِمَهُ اللَّهُ- أنـه صنف كتابه العظيـم «زاد المعاد فـي هـدي خيـر العبـاد -صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ-» وهـو علـى راحلته في السـفر، فبهذا نخـرج بالطريقتين، ونسـتفيد مـن المنهجيـن، وتحقيقاً لذلك نشـعر ببعض السـعادة، ومتعـة الحياة، وحيـاة المتعة.



متعة

* لا تُصِـــرّ على ولادة أفكار كثيـــرة، وكبيرة، في وقت يســـير .. اترك محك الحيـــاة ينضجها، والتدرج يعالجها، والخبرة تصقلها.

* احسب حســـاب لخط الرجعة؛ بل واجعل لك خط رجعة في غالب شأنك، ولن تندم ..، فقد جربت ذلك كثيراً في حياتي.

* تســـتطيع إقناع الناس بما تُريـــد، ولكن قل لي بربك من يقنع ضميرك.

كن واقعياً

اجعـل توقعاتـك أكثر واقعيـة ولا تعش في عالـمٍ من المثاليـات بعيداً عـن الواقعيـة فتذبل زهرة الأمـل، وتختنق رئـة المتعة ..

ولم أرَ شـــيئاً مثل دائرة المُنى تُوَسِّعُها الآمال والعُمرُ ضَيّقُ

ولا تنبيهـا علـى الخيـال، فأنـت لا تخاطـب أهـل المريـح بآمالـك وأحلامـك..

ولـذا أطلـب منـك أن تَقْصُـرَ متعتـك علـى ذاتـك فحسـب، وهـذا يكفينـا، ويشـفينا. المهـم أن التوقعـات ينبغـي لهـا قبـل كل شـيء أن تكون قابلـةً للتطبيـق، سـهلةً علـى النفـس؛ مُطيّبَـةً للخاطـر، قريبـةً مـن الواقـع، سلسـة الأفـكار... مميـزة النتائـج..

وأعـرف قدر الدنيـا، وأنها إن أضحكـت أبكت، وإن سَـرّتْ أحزنت، وإن أَسَـرّتْ فضحـت، وإن صعـدت هبطـت، وإن رفعـت خفضـت، وحقٌّ علـى اللـه مـا ارتفـع شـيء إلا وضعه ولـذا فهـي دار صـدقٍ لمـن صدقها، ودار بـوارٍ لمـن علقهـا.. ذكـر الجاحـظ فـي المحاسـن والأضـداد قـول الأصمعـي -رَحِمَـهُ اللَّهُ-:

وجد في دار سليمان بن داود -عَلَيْهِ السَّلَامُ- .. على قبة مكتوباً:

ومن يحمد الدنيا لشيء يَسُرُّهُ فسوف لعمري عن قريب يلومها

إذا أدبرت كانت على المرء حسرةً　　وإن أقبلت كانت كثيراً همومها

وصدق من قال:

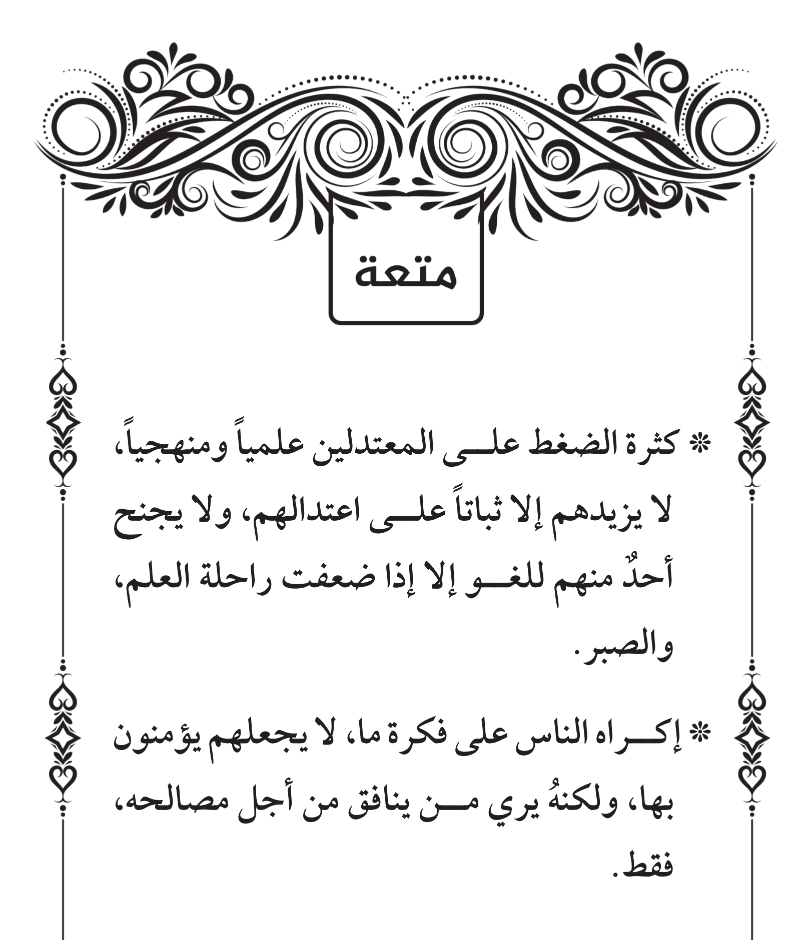
هب الدنيا تُســـــاق إليك عفواً　　أليس مصيــــــرُ ذاك إلى الزوالِ

فـإذا عرفنا قـدر هذه الدنيـا، وفهمنا واقعنـا فهماً صحيحاً فـإنَّ أهدافنا فيهـا سـوف تتجـدد، وآمالنـا فيها سـتتحدد وآلامنا فيهـا سـتزول، وتوقعاتنا فيهـا سـتكون واقعية جـداً جداً..، بـإذن الله -جَـلَّ وَعَزَّ-.

وما ذاك إلا لمعرفتنا بها، وبما تؤل إليه...

فهـل من توقع واقعـي يفتح أبواب التفـاؤل في حياتنـا، ويفتح مغاليق النجـاح، ويَفُلُّ مزاليـج اليأس فلاًّ..

فَيُولّـي جحفل الهمـوم والغموم، والإخفـاق والنفاق، فـاراً من أرض المواجهـة إلـى بيـداء سـماوة التيـه.. لنعيش حيـاةً نقيـةً تقيـة، هنيَّـة، بعيدةً عـن التوقعـات القاتلـة، مليئاً بالتفـاؤلات والنجاحـات ومتعـة الحياة...



متعة

* كثرة الضغط علــى المعتدلين علمياً ومنهجياً، لا يزيدهم إلا ثباتاً علــى اعتدالهم، ولا يجنح أحدٌ منهم للغــو إلا إذا ضعفت راحلة العلم، والصبر.

* إكــراه الناس على فكرة ما، لا يجعلهم يؤمنون بها، ولكنهُ يري مــن ينافق من أجل مصالحه، فقط.

توقع الأفضل

لتكـن توقعاتـك إيجابية دائماً فإنهـا إنما تعبر عما يحـوك في صدرك، فـإذا كنـت إيجابياً في حياتـك ومواقفك، كانت توقعاتـك إيجابية متميزة..

وهـذه التوقعـات بدورهـا توحي بهواجس نفسـية، فإن كانـت إيجابية أيضـاً فإنهـا تبعـث في النفـس التفـاؤل، وتطيب الخاطـر، وتقـوي العزائم، وتلهـب الهمـم، والفأل هو الكلمـة الطيبة فيعيـش صاحبها سـعيداً، مطمئناً علـى مسـتقبله، يشـعر بأمن نفسـي، ويحسـب من نفسـه صفحة في سـجل الحيـاة الكريمة..

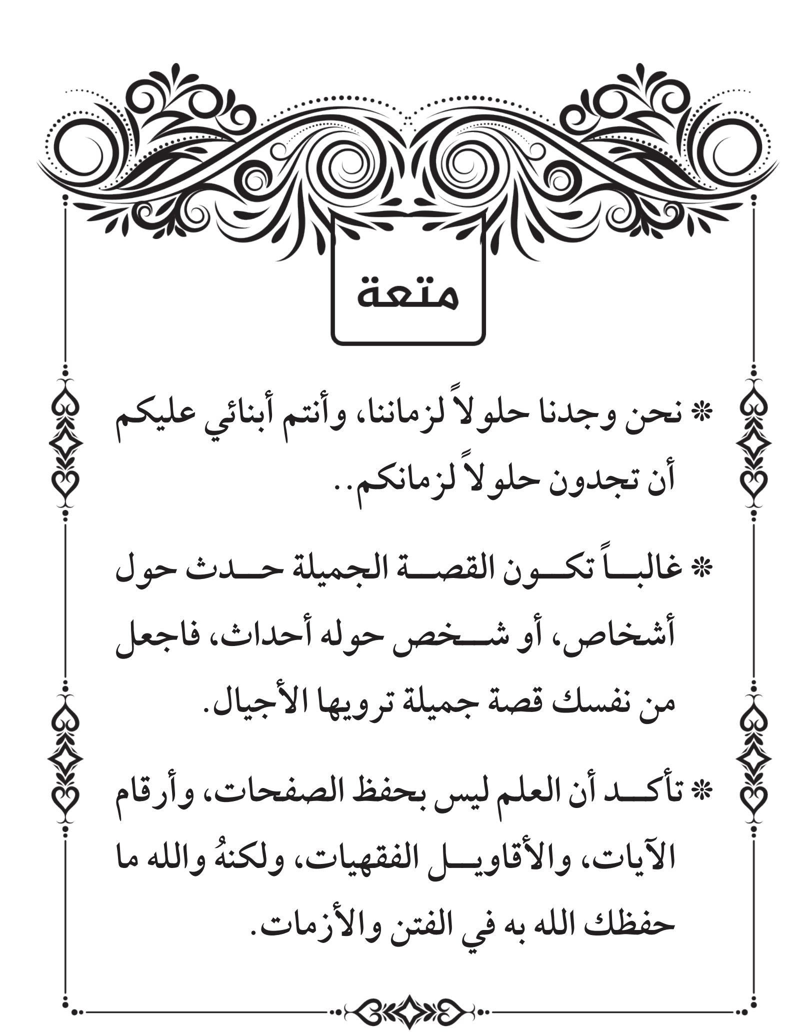
أمـا إذا كانـت التوقعات سـلبية فإنها تبعـث التهالك النفسـي، وتحطم الـذات ولـو بعـد حيـن... فتـزول السـعادة، وتتلاشـى الطمأنينـة، وتتحول الراحـة إلى شـقاء وبـؤس، وتوقـع للصدمـات والأزمـات والكدمات وكل مـا هـو آت آت، ويضيـع مفتـاح المتعـة في أوحـال التوقعـات السـلبية، ثم يضعـف بل يتهـاوى أمام هـذه التوقعـات، فيبعث في نفسـه القنـوع بالدون والإخـلاد إلـى الأرض، وإتباع الهوى، والتشـاؤم من كل جديـد، والمجهر المعتـم الـذي يرافقه، فـلا يـرى إلا الظلام والشـقاء، والبـؤس واللأواء.

إن المتشـائم ينظـر إلـى نـور الصباح علـى أنه اقتـراب لنهايتـه، وينظر للـروض المعشـب الباهـر وكأنه مقبـرة، فلا أمـل ولا حلـم ولا نجاح، ولا متعة .

الذهـب فـي عين المتشـائم تـراب، والدنيـا الحلوة خـراب، والهموم والأحـزان يراهـا حقائـق خـوارق مـا له عنهـا من محيـص، وما لهـا عنه من محيد...

عينه يائسـة، وكَفّهُ بائسـة، وشـفته عابسـة، وهو يموت مـرات ومرات قبـل موتتـه الحقيقية، ثم هـو إن مات كان الهـم والغم والتشـاؤم هو المتهم الأول فـي الجريمة...

فلمـاذا لا تكـون توقعاتنـا إيجابية، وقـد أثبتت التجارب مدى سـعادة أهـل التوقعـات الإيجابيـة وبعدهـم عـن الأمـراض العصريـة، كالضغـط والسـكري... فيـا سـعادة هـؤلاء.. ويـا لمتعتهـم بحياتهـم ..



متعة

* نحن وجدنا حلولاً لزماننا، وأنتم أبنائي عليكم أن تجدون حلولاً لزمانكم..

* غالبــاً تكــون القصــة الجميلة حــدث حول أشخاص، أو شــخص حوله أحداث، فاجعل من نفسك قصة جميلة ترويها الأجيال.

* تأكــد أن العلم ليس بحفظ الصفحات، وأرقام الآيات، والأقاويــل الفقهيات، ولكنهُ والله ما حفظك الله به في الفتن والأزمات.

جمال الروح

قال إيليا أبو ماضي:

أيها الشـــــاكي وما بك داءٌ ... كيف تغدو إذا غدوت عليلاً

إن شر الجُناةِ في الأرضِ نفسٌ ... تتوفَّى، قبل الرحيلِ، الرّحيلا

وترى الشوكَ في الورود، وتَعْمَى ... أن ترى فوقهـــا الندى إكليلا

هو عبءٌ علــــى الحياة ثقيلٌ ... من يَظُن الحيــــاة عبئاً ثقيلا

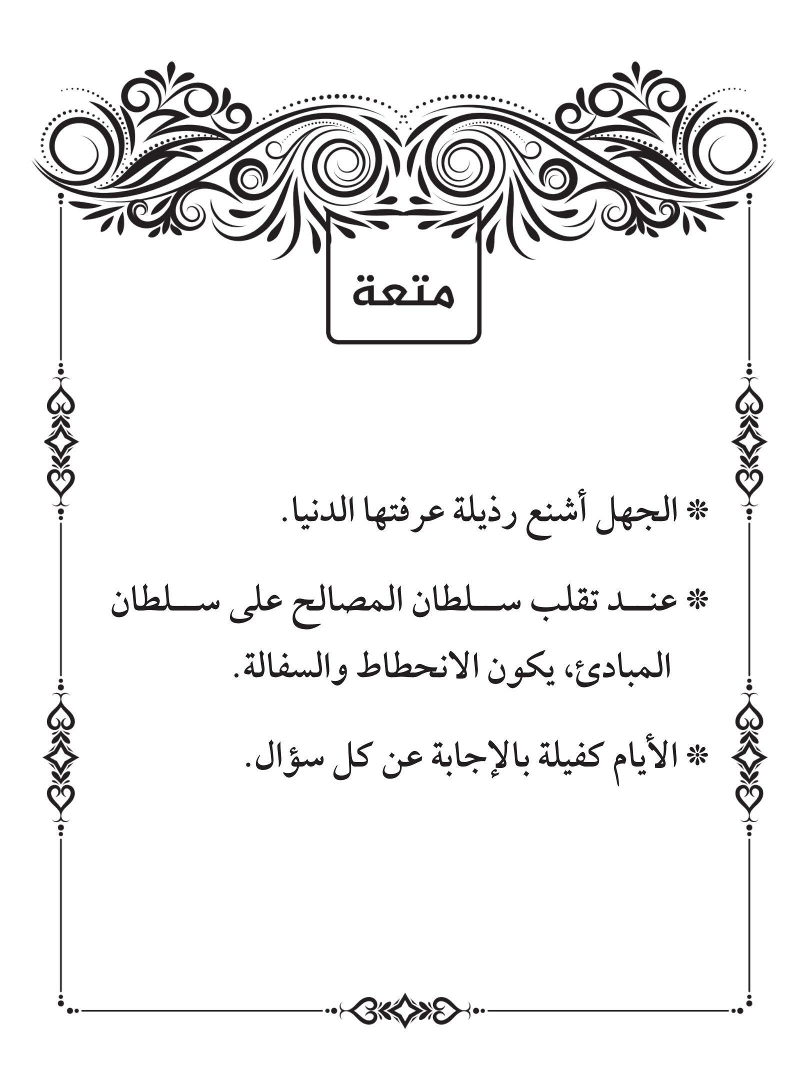
والذي نفسُـــــهُ بغير جمالٍ ... لا يرى في الوجودِ شيئاً جميلا

فتمتع بالصُّبح مــــا دُمت فيه ... لا تخف أن يزول حتى يزُولا

وإذا مــــا أظلَّ رأسَـــكَ همٌّ ... قصِّر البحثَ فيــــه كَيلا يَطُولا

أدركت كُنْهَهَـــا طيور الرَّوابي ... فَمِنَ العــــارِ أن تظلَّ جَهُولا

فتراها والحقل مِلْكُ ســـــواها ... تَخِذَتْ فيه مُسْـــرَحاً ومَقيلا



متعة

* الجهل أشنع رذيلة عرفتها الدنيا.

* عنــد تقلب ســلطان المصالح على ســلطان المبادئ، يكون الانحطاط والسفالة.

* الأيام كفيلة بالإجابة عن كل سؤال.

عبّر عن مشاعرك

فإن دائم الضغط يولد الانفجار...

فمراعـاةً لمشـاعرك وضبطـاً لهـا، وتعبيـراً عنهـا، تنـل فرحـة الراحة، وسـلامة الفكـر ومتعـة الحياة.

وهـل الشـعر إلا مشـاعر، وهـل الدفاتـر إلا شـعور، وهـل الكتابـة أو الـكلام أو الانفعـال إلا تعبيـراً عـن الأحاسـيس والمشـاعر.

أمـا الكبـت فهو يولد الوعـورة في الخلـق، والضيق فـي النفس، ووأد الحريـات، وتكميم الأفواه.

ولذلك صرح الشاعر قائلاً:

أطلقوا ريشـــــتي وهاتوا دواتي واتركوني مـــــن التي واللواتي

والآخر يقول:

حديث الروح للأرواح يسري وتدركه القلـــــوب بلا عناء

إذاً فـلا تتغافـل عـن همومـك، واجعـل لـك معتمـداً تشـكو إليـه عن كروبـك وأحزانـك، وتثـق به وتعتمـد عليه..، وإنـي أوصيك بـأن تجعله .. ربـك .. فحسـب، فهو حسـبك ونعـم الوكيل..

إنه الله -جَلَّ وَعَزَّ- ...

يقـول لـوط -عَلَيْـهِ السَّـلَامُ- حينما أراد قومه أن يكسـروا بـاب منزله

ليقتحمـوا على أضيافـه الدار ..

قـال: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾ [هـود: ٨٠] قـال كثيـر مـن أهـل التأويل: أي أنني آوي إلى اللـه وأعتمد عليـه وأفوض الأمر له .

وهـذا إبراهيـم -عَلَيْـهِ السَّلَامُ- حيـن يلقى فـي النار قـال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمـران: ١٧٣]. فكانـت بـرداً وسـلاماً ...

وهـذا رسـول الله محمد بن عبـد الله -صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ- يُقال لـه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٖ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمـران: ١٧٣- ١٧٤].

فهـلا كنـا مـع اللـه ليكن اللـه معنـا، وهـلا شـكونا إليـه وهرعنـا إليه وتوكلنـا عليـه، إنـك حيـن تعبـر عـن مناجاتـك لربـك، وعـن همومـك وأحاسيسـك ومشـاعرك لتربـط بيـن ضعيـفٍ وقـويٍّ وفقير وغنـي جل في علاه .

فتعيـش فـي متعـة حيـاة، وطمأنينـة وراحـة بـال حيـن تعبـر عـن مشـاعرك، وليكـن لك مستشـار مـن النـاس ... ثقـة، ثبت، حجـة، وصدق مـن قـال: «شـاور سـواك».

ثـم إنـك حين تجمع عشـرة عقول فتخـرج منها برأي خميـر، خيرٌ لك مـن رأيك الفطيـر ... والمشـورة مباركة، وأصلها في الشـريعة ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمـران: ١٥٩]، ففـي ذلـك البركـة والراحـة في أخـذ القرارات،

فأنـت حيـن تتخـذ قـراراً فـي حياتـك بعـد تمحيـص، وتدقيـق، ومشـورة تكـون أسـعد نفسـاً، وأكثـر طمأنينة بقـرارك حتـى ولـو جانـب الصـواب أحيانـاً، فأنـت مرتـاح البـال واثـق الخُطـى ..، وصدق مـن قال:

وأنفعُ من شاورتَ من كان ناصحاً   شفيقاً فأبصرْ بعدها من تشاورُ



متعة

* فقراء المشـــاعر يعيشـــون جفافـــاً عاطفياً في حياتهم.

* لا يزال قلبك رطباً من الحب.

* الحديث عـــن أوضح الأفكار بأصعب الألفاظ تمردٌ على قافلة الأدب

لتكن دائماً إيجابياً

لا تقطـع حبـال الـود بينـك وبيـن خالقـك، فإنـهُ يحكـى أن صعلوكاً قطـع الطريـق علـى رجـل مسـافر، فلمـا سـلبه مالـه وجلسـا، قـال الرجـل للصعلـوك، إنـي واضـعٌ طعامـي فـكل معـي.

قال الصعلوك: إني صائم.

قال: سبحان الله تقطع الطريق وتصوم.

قـال الصعلـوك: أو أقطـع حبـال الـود مـع ذي الجـلال لَعلَـلَّ لـي متمسـكٌ إذ وردتُ عليـه..

ومـرت الأيـام، وكان هـذا العمـل الصالح مفتاحـاً من مفاتيـح توفيق اللـص بالهدايـة والتوبة والاسـتقامة..

إذاً فالإيجابيـة في الحيـاة منهج ومفتـاح من مفاتيح النجـاح والمتعة، وليسـت فقـط مقتصـرة علـى علاقتـك مـع ربـك ، بـل مـع كل مـن حولك أيضاً.

فأبـذل الطعام وانشـر السـلام، وصلِّ بالليـل والناس نيـام ... تكن من أهل دار السـلام بإذن الملـك العلَّام..

الإيجابي يقول:

إني امرؤ عافي إنائي شـــــركةٌ وأنتَ امرؤٌ إنانــــك واحدُ

أتهزأُ مني إن تسمنتَ وأن ترى بجسمي نحولَ الحقَّ والحقُ جاهدُ

أُقسِّمُ جسمي في جسومٍ كثيرةٍ وأحسو قراحَ الماءِ والماءُ باردُ

والإيجابي الآخر يقول:

إذا ما صنعتِ الزاد فالتمسي لهُ أكيلاً فإني غيـــــرُ آكلهِ وحدي

وإني لعبدُ الضيف ما دام نازلاً وما من خِلالي غيرها شيمة العبدِ



متعة

* بادر قبل أن تُبادر..

* السحر الحلال تبسمك في وجوه الرجال.

* اقتصاد في عبادة خير من مبالغة في بدعة.

اعتنِ بالآخرين، ولا تنس نفسك

أحســن إلــى الناس، وأحببهــم، وقربهم، وقــم بحاجاتهــم .. تفتح لك مغاليـق المتعة.. ومفاتيـح الحياة..

خذ بيد الكبير، وامسح رأس الصغير، وأشفق على اليتيم ...

تنـل فضـل الرحيـم، وتشـعر بالسـعادة والراحـة فـي حياتـك، فإنـك تقـوم بـدور هـام، وتحقـق أهدافـاً جريئة تخـدم الهـدف الأعظـم، وتصب فيـه، وصـدق مـن قال:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم   فطالما استعبد الإنسان إحسان

والإحسـان إلـى النـاس بلسـم الحيـاة، ووقـود السـعادة، وحطـب الرضـى، وجمـرة التميـز.

وعاملهـم كمـا تحـب أن يعاملـوك، وكـن لهـم كمـا تـود أن يكونـوا لك . .

إذا صاحبت قومـــاً أهل ودٍ   فكن لهم كذي الرحم الشفيق

اعتن بحوائجهم .. وكن لهم في نوائبهم .. يكونوا لك ...

ثـم ابـذل إحسـانك لـكل أحـد وخصوصـاً لمن يسـتحقه، مـن أحب الازديـاد مـن النعـم فليشـكر بالإحسـان إلـى الخلـق فـإن الإحسـان منمي النعـم علـى العبـد، جالـب للبركـة، نافـع للصحبة..

لقد ثبتْ في القلبِ منكَ مودةٌ   كما ثبتتْ في الراحتينِ الأصابعُ

وأبشـر فـإن ذلـك منعكـس عليـك لموعـاً وتميـزاً ومحبةً فـي قلوب الخلق وبـراً وإحسـاناً..

من يفعلِ الخيرَ لا يعدمَ جوازيهُ   لا يذهبُ العُرفُ بين اللهِ والناس

ثم كن باذلاً الإحسان لكل أحد...

فعندَ الشـــاكرينَ لها جزاءٌ   وعند الله ما كفـــرَ الكفورُ

فلنصنـع السـعادة فـي قلوبنـا، والتميـز فـي حياتنـا بالإحسـان إلـى الخلـق، فهـو مفتـاح مبـارك، فَجَـلَّ اللـه وتبـارك.



متعة

* أعجب من المحتال، كيف ينام، ومن الكَذّاب كيف يعيــش، ومن صاحــب الوجهين كيف يَحْتَرَمُ نفسه، ومن المرتزق بدينه كيف تطيب له حياة.

* إذا أحســنت للناس فثق أنها عند اللــه مُقَدَّرةٌ معظمةٌ محفوظة ...

* هل تظــن أن ما ترفل فيه مــن عافية في البدن، وأمن فــي الوطن، وصلاح في الذرية، أنه جاء بالمجــان ...، إنــه ثمرة توفيق اللــه لك للبر والإحســان للآخرين، فكان أول فضله، وأثره عليك قبل غيرك ..

هماً واحدًا

لا تشـتت تفكيرك، ولا تشـغل بالـك وإنمـا التركيز وتوحيـد الهدف، وتوحيـد الهَمِّ.

فالناجـح موحـدٌ همـه، مهيـئ نفسـه لترتيـب همومـه .. وهـو الـذي يعلـم أنـه سـيعيش مـرة واحـدة فـي دنيـا الهمـوم .. ومنهجـهُ .. «واجعـل الهَمّيـنِ همـاً واحـداً».

فيزول التشـتت، ويذهب التفـرق، وتترتب الأفـكار، وتجتمع الهموم فـي هَـمْ واحـد، ممـا يجعـل القلـب مهيـأ للإيجابيـة والنجـاح والتميـز. وهمـك رضـي ربـك، وحفظـهُ فـي الظاهـر والباطـن، فأحفـظ اللـه يحفظ اللـه، وتعـرف علـى الله فـي الرخاء يعرفك في الشـدة، وإذا سـألت فاسـأل اللـه، وإذا اسـتعنت فاسـتعن بالله.

أما فـــي هذه الدنيـــا كريمٌ　　تزول به عــــن القلب الهمومُ

يقول صفي الدين الحليّ:

كن عن همومـــكَ مُعْرضاً　　وكلِ الأمورِ إلـــى القضا ..

وأنعـــم بطول ســـلامةٍ　　تُســـلِيكَ عمّا قد مضَى ..

فلربمـــا اتســـعَ المضيقُ　　وربمـــا ضـــاق الفضا ..

ولَـــرُبَّ أمـــرٍ مســـخطٍ　　لك في عواقبـــه الرضى ..

اللـــــه يفعـــــل ما يشـــــاءُ فلا تكـــــن متعرضـــــاً ..

والحاصل ..

لا تفرق همومك .. واجعل الهمين هماً واحداً .. ولا تحزن ولا تأس على ما فاتك ... ولا تحمل هماً لم ينزل بك .. ولا تلُم الناس على ما فيك مثله .. ولا تتمنى ما لا تملك .. ولا تمدح من لَا تستأهل .. ولا تبني بخيالاتك قصوراً مشمخرة .. ولكن .. وَحِّدْ هَمّك، وأرضِ ربك، واحفظ لسانك، وأكرم ضيفك، وساعد المحتاج .. تجد المتعة في حياتك ..

وطالع أسرار ﴿ **فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب** ﴾ [الشرح:٧-٨].. واجعل الهمين هماً واحداً.

وهَلاّ طرق سمعك حديث ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «من جعل الهموم هماً واحداً كفَاهُ الله همَّ دنياه، ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا، لم يبالِ الله في أي أوديتها هلك»[1].

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «من كانت الآخرة همَّه، جعل الله غناهُ في قلبه، وجمع عليه شمله ثم أتتهُ الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقرهُ بين عينيه، وفَرّقَ عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّرَ له»[2].

---

(١) صحيح سُنن ابن ماجة.

(٢) صحيح سُنن الترمذي.

يقول يحيى بن معاذ الرازي الواعظ:

«الـذي حجـب الناس عـن التوبة طول الأمـل، وعلامة التائب إسـبال الدمعـة، وحب الخلوة، والمحاسـبة للنفس عـن كل همه» أ.هـ.

وقـال أَيْضـاً فـي موضـعِ آخـر: «مـن قـوة اليقيـن ترك مـا يُـرى لما لا يُـرى» أ.هـ.

فاتـرك هـمَّ مـا يُـرى فـي هـذه الدنيـا، وألـزم نفسـك هـمَّ ما يـرى في الآخـرة، ولا يُـرى؛ تكـن صانعـاً متميـزاً للتميـز.

وقفة

قال الكاتب المعروف بالببغاء:

تَنكـبْ مذهـبَ الهمجِ ... وعُـذْ بالصبـرِ تبتهج

فـإن مظلـم الأيـام ... محجـوج بـلا حـج

تسـامحنا بـلا شـكر ... وتمتعنـا بـلا حـرج

ولطـف الله فـي إتيانهِ ... فتـحٌ مـن اللجـج

فمن ضيـقٍ إلى سـعةٍ ... ومـن غـمٍ إلـى فرجٍ



متعة

* تعلــم فَــنّ إدارة الحيــاة، مفتــاح للمتعة بها، وللشعور بطعمها.

* من لا يملك الرؤية، والخبرة، لا يمكن أن ينتج شيئاً ينفع به الإنسانية.

تقليب المواجع

إن مطالعـة صحائـف العمـر التـي مضـت وتقليبهـا، فيـه تقليـب للمواجـع، واسـتحضار للهمـوم، وجلـب للغمـوم .. وهدم لليـوم الحاضر والغـد المشـرق بمعـول الآلام.

فهل يستجلب الهموم عاقل؟

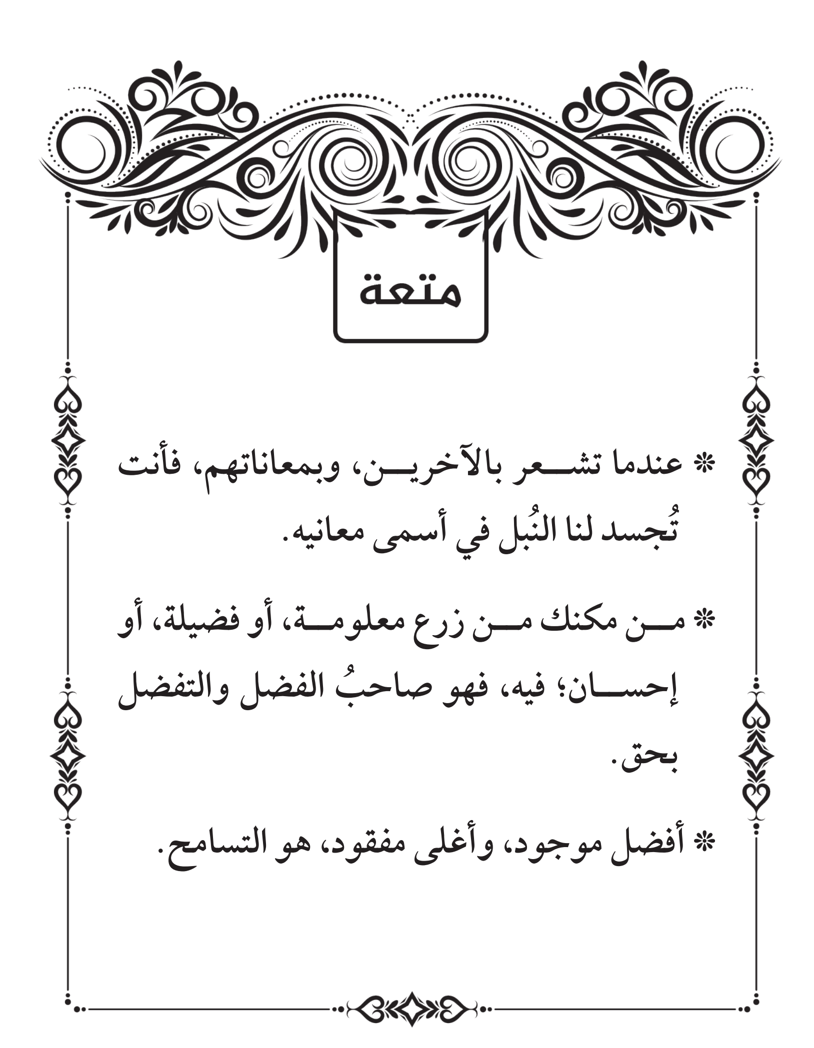
هل يطر السعادة لبيب؟

والزبدة:

أن إعمال الفكر في ما مضي بُله، وحمقٌ، وجنون.

وأعمالُ الفكر فيما يأتي ويُستقبلُ جهل وتهور، وركون.

وإعمـال الفكـر فيمـا أنـت فيـه هـو الحـق، والصـدق، وفيـه النجـاح والفـلاح والتقـدم.. بـإذن اللـه -جَـلَّ وَعَـزَّ-.



متعة

* عندما تشــعر بالآخريــن، وبمعاناتهم، فأنت تُجسد لنا النُبل في أسمى معانيه.

* مــن مكنك مــن زرع معلومــة، أو فضيلة، أو إحســان؛ فيه، فهو صاحبُ الفضل والتفضل بحق.

* أفضل موجود، وأغلى مفقود، هو التسامح.

لا تلتفت إلى الخلف

واجعـل بصـرك دائماً إلـى الأمام، ولا تتردد ولا تسـترجع الإسـاءات مـن الآخريـن فإنهـا مؤلمة للنفـس، والمواقف السـلبية في حياتـك مزعجة لـك، وأنـت الحكم فـي حياتـك، إنَّ هذه المواقـف.. حتى ولو مـرت بخير فـي لحظتهـا إلا أنهـا تُحـدِثْ تراكمات قد تقتـل المتعة فينـا غالباً.

تذكـر قـول الأعرابـي فـي قـوم غمطـوه، وهضمـوا حقّـه فقـال معزياً لنفسه :

إن يعلموا الخير يُخفوهُ وإن علموا　　　شراً أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا

فقبحاً لحالهم..

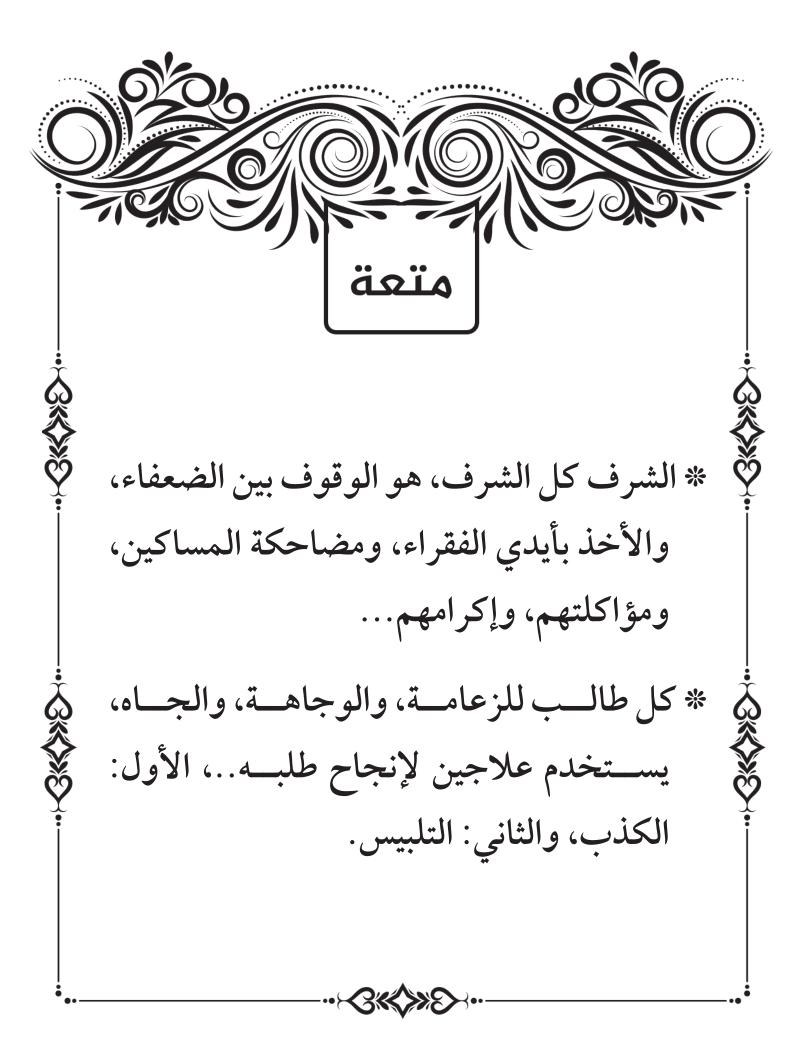
قـومٌ نصَّبـوا أنفسـهم موازيـن عـدل، وجعلوا مـن ألسـنتهم رماحاً في صـدور الناجحيـن، وأخذوا علـى عواتقهم هتـك أسـتار المبتلين..

فقبحاً لحالهم..

وإنَّ اسـترجاع هذه الإسـاءات والمواقف السـلبية في الحيـاة اليومية، مدمـرٌ للسـعادة، جالـبٌ للعُقـد النفسـية، دافـعٌ بالنفـس للوقـوع فـي براثن الهمـوم والغموم..

وإنَّ المتميـز حقـاً، والناجـح صدقـاً هـو مـن أسـدل السـتار علـى المشـهد الأول مـن حياتـه بمـا فيـه مـن سـوء، وعـاش يومـه، فـإن الخبـز

اليابـس المحتـرق الـذي أكلتُـه قبـل شـهرين... قد يكـون مجلبـةً لهمومك إن أنـت استرجعت ذلـك؛ وقـد يكـون مجلبـةً لسـعادتك إن أنـت عملت، وبذلـت، ونجحـت فـي إيجـاد خبزٍ دافـئ لذيـذ لهذا اليـوم.. بهـذا صنعت متعتـك..



متعة

* الشرف كل الشرف، هو الوقوف بين الضعفاء، والأخذ بأيدي الفقراء، ومضاحكة المساكين، ومؤاكلتهم، وإكرامهم...

* كل طالــب للزعامــة، والوجاهــة، والجــاه، يســتخدم علاجين لإنجاح طلبــه..، الأول: الكذب، والثاني: التلبيس.

كن قارئاً جيداً

واجعل جليسك دفتراً في نشرهِ   للميتِ من حكم العلوم نشورُ

ومفيد آدابٍ ومؤنس وحشـــــةٍ   وإذا انفردت فصاحبٌ وسميرُ

واجعل من مكتبتك منتزه لقلبك، وبهجة لنفسك ..

ولكل صاحب لـــــذةٍ متنزهُ   أبداً ونزهة عالـــــم في كتبهِ

واعلـم أنـه مـا اتسـعت دائـرة معارفـك بالكتب، وبحـب القـراءة إلا ضاقـت دائـرة الجليـس السيـئ والثقيـل، وكلمـا غنمـت وقتـك، وأفـدت مـن عمـرك، اجعـل الكتـاب قريبـاً منـك دائمـاً... سـهل التنـاول، ووفر ما يروقـك قراءتـه دائماً.

واجعـل لنفسـك فسـحة، ورتب فنـون العلـم والأدب كـي لا تتزاحم فيضيـق صـدرك، ولا ينطلق لسـانك.

فإنـك إذا حويـت الكتـب، حويـت العلـم والأدب وأضفـت أعمـاراً جديـدة إلـى عمـرك، وأزمانـاً مديـدة إلى حياتـك، بـل وكانت لك سـياحة فكريـة فـي كل زمـان ومكان، وفـي كل فنٍّ، وكنـت بين ألف زهـرة وزهرة، بحق إنهـا متعـة الحياة.

والمقصـود: أن تكـون قارئـاً جيـداً يسـتفيد ممـا يقـع فـي يـده مـن الثقافـات والمعلومـات، فبـذا تحصـل علـى علـم جـمّ، وتشـغل فراغـك

بخيـر، وتُسـيّر قراءاتـك فـي سـبيل تحقيـق أهدافـك، والحصـول علـى المأمـول.

فكـن رابطـاً لحبـال الود مـع المكتبـة، صادقـاً في الإفـادة منها تسـيرُ علـى درب متعـة المعرفة..

يقول أبو العتاهية:

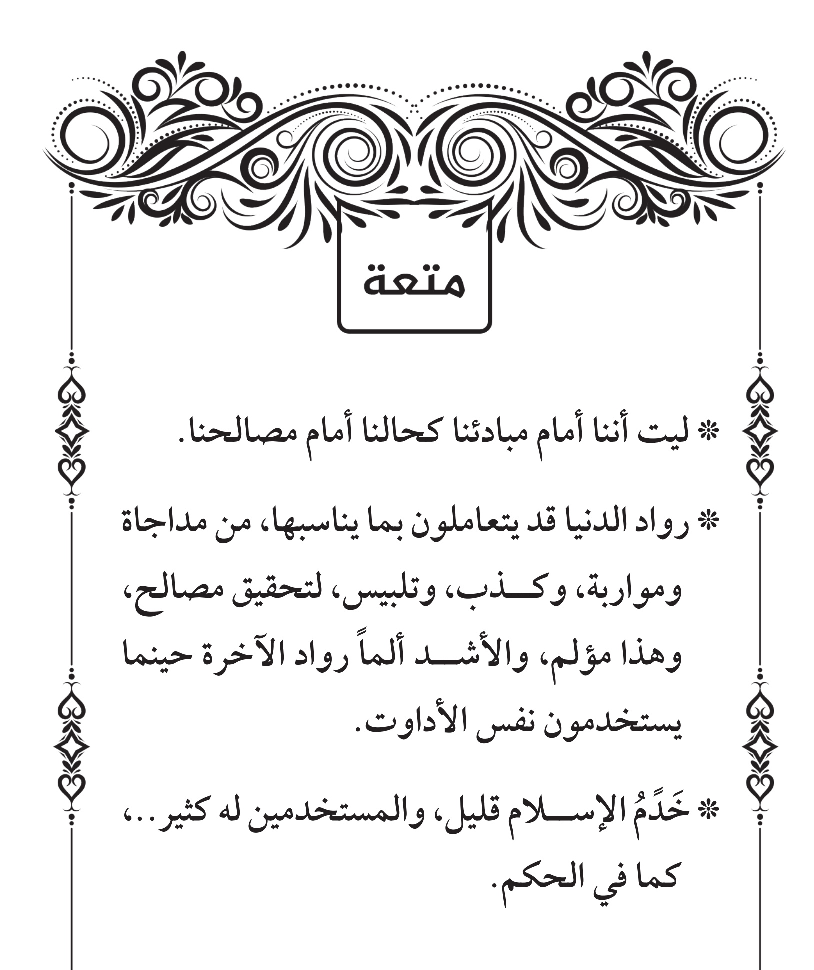
يـــــا ذا الذي يقرأُ فــــي كتبهِ   ما أمـــــرَ اللــــــهُ ولا يعملُ
قد بَيَّنَ الرحمــــــنُ مقتَ الذي   يأمــــرُ بالحـــــقِ ولا يفعلُ
مـــــن كان لا تُشـــــبهُ أفعالهُ   أقوالــــــه فصمتــــــهُ أجملُ

ثـم اعلـم أن النـاس يتخـذون وسـائل إفادتهـم مـن وقتهـم وترفيههم علـى قـدر مداركهم.

يقـول عبـاس محمود العقـاد في مقال له في الرسـالة بعنوان «السـيف والكتاب»:

«إن القـراءة لـم تزل عندنا سـخرة يسـاق إليهـا الأكثرون طلبـاً لوظيفة أو منعـة، ولـم تـزل عنـد أمـم الحضـارة الحاضـرة حركـة نفسـية كحركـة العضـو الـذي لا يطيـق الجمود».

وصدق...



متعة

* ليت أننا أمام مبادئنا كحالنا أمام مصالحنا.

* رواد الدنيا قد يتعاملون بما يناسبها، من مداجاة ومواربة، وكــذب، وتلبيس، لتحقيق مصالح، وهذا مؤلم، والأشــد ألماً رواد الآخرة حينما يستخدمون نفس الأداوت.

* خَدَمُ الإســلام قليل، والمستخدمين له كثير..، كما في الحكم.

علاقة نـشيطة

قال الأول: «نَقِّلْ فؤادكَ حيثُ شِئتَ من الهوى».

وأنـا أقـول: نقّـل فـؤادكَ وذهنـك حيـث شـئتَ مـن الكتـب والعلـم والفائـدة، فـإن مـن طالـع فنـاً مـن فنـون العلـم ولزمـه زمـن كلَّ بصـرهُ، وضعفـت بصيرتـهُ، فـإن المراوحـة منهج كـي لا تمـل منه النفـوس وتكل.

فَطَـوراً مـع القُـرآن الكريـم فـي تحليـق عظيم فـي عالـم البيـان ودنيا البلاغـة، وطـوراً مـع حديث النبي -صَلَّـى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ-، ومع جوامع كلمـه، ودرر حكمـه، وروائع أقوالـه، فتارةً مع البخاري وشـروحه، وأخرى مع مسـلم وشـروحه، وثالثة مع السـنن.. وطـوراً مع علوم التفسـير والتأمل لـكلام العزيـز الجليل -جَـلَّ وَعَزَّ-.

وطـوراً مـع تشـقيقات الفقهـاء وتقاسـيمهم البديعـة النافعـة فـي فهم مسـألة، وحـل معضلـة، والفقـهُ فـي الديـن عظيـم، وحاجـة العامـة للفقيـه أشـد منهـا للواعـظ والمربـي.... فهو الـذي يَفْقـهُ أمر اللـه ونهيـه، وحلاله وحرامـه ويُفَقِّـه النـاس؛ وطـوراً فـي ربـوع الأدب، وخمائـل المقطوعـات الأخّـاذة مـن السـحر الحلال.

* إن مـن البيان لسـحراً يخلـب الألباب، ويهز القلـوب، يفلّ العقول، وكلمـا تقلبـت فـي هـذه الأطـوار كلمـا زاد حبـك وشـغفك للقـراءة، وقلّ مَلَلَـكَ وسـأمك منها، وهذا مجـرب، والنفس ملولة، كسـولة ما لـم تأطرها

وتنـوع لها تنويعـة مائعة.

إذا حصـل الكتـاب وحضـر العقـل فالـزم قلمـك، وقيد صيـدك، فإن الكتابـة قيـدُ الصيـد، ولقـد رأيتُ كتابـاً مائعاً نافعـاً فيه من كل بسـتان زهرة، ومـن كل فـن قطـرة هـو: «الصبابـات فيمـا وجـد علـى ظهـور الكتـب من الكتابـات»، جمـع فيـه مؤلفـه مـا وجـدهُ مكتوبـاً مـن الفوائـد علـى ظهـور بعـض الكتـب مـن الفوائـد والشـوارد والأوابـد، فجـاء فـي كل عقـدٍ فُلّـه، وكان فـي فنـون عدة، وهـذه النوعية مـن الكتب لذيـذة لإزجـاء الوقت عن القـارئ كـي لا يَمَـلّ ولا يَكَلّ.

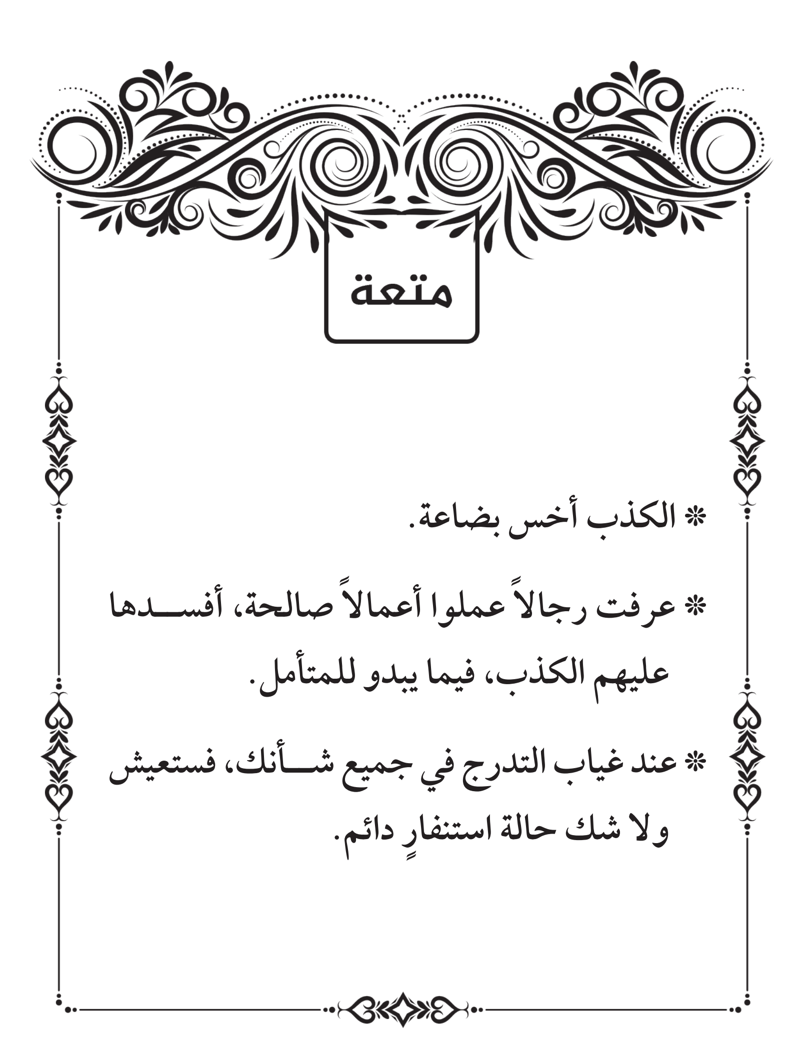
فمـن أنفـع القـراءة مـا كان بفهـم حاضـر، وفكـر متقـد، وقلـمٍ مقيد، والقـراءة السـريعة قد تكـون نافعـة أحياناً لبعـض الكتب قبل الشـراء، وهي إلمامـة سـريعة بمـادة الكتاب قبل شـراءه فـي المقدمة والخاتمـة والفهرس وفيهـا -أي القـراءة السـريعة- اسـترجاع للمعلومـات، وجمـعٌ لشـتات المعلومـات، وشـحذٌ للذاكـرة، ومعرفة للأدلـة، ومَظانّ الفوائـد، والأوابد.

وكل كتـاب لا يخلـو مـن فائـدة، فعليـك بالمطالعـة، وإفـراد صفحـة مـن صفائـح عمرك الغالـي لهـا، وجعلها في جدولك، فهي سِـرٌّ من أسـرار لموعـك وسـطوعك، وتفوقـك، ونجاحك، ثم ألـزم مع المطالعـة والفائدة والتقيـد العمـل، فليس العلم بكثـرة الروايـة ولكنـه بالدراية، وليـس العلم بالتقميـش، ولكنـه بالعمـل والتفتيش.

فـــ..اعمل بعلمكَ تَغْنَم أيها الرجلُ   لا ينفعُ العلمُ إن لمن يحسنِ العملُ

والعلمُ زينٌ وتقوى الله زينتهُ   والمتقونَ لهم في علمهم شُغل

بهـذا تحمل مفتاحـاً للترويـح عن نفسـك، وللتميز في حياتـك... بل تكون صانعـاً للمتعة.



متعة

* الكذب أخس بضاعة.

* عرفت رجالاً عملوا أعمالاً صالحة، أفسدها عليهم الكذب، فيما يبدو للمتأمل.

* عند غياب التدرج في جميع شأنك، فستعيش ولا شك حالة استنفارٍ دائم.

خير الصحاب

يا ذاكيـــاً والـــذكا جِلبابُهُ   وتقيـــاً حسُـــنت آدابـــهُ
قُمْ وصاحب من هُمُ أصحابهُ   لا تقـــل قد ذهبـــتْ أربابهُ

صاحـب الكتـاب وجالسـهُ بالمطالعـة فيه يؤانسـك بالعلـم والمعرفة والخيـر فـي الدارين.

فأنـت تطالـع عقـول الرجـال، وتمضـي حيـث وقفـوا، وتنطلـق مـن حيـث انتهـوا... ثـم أعلم أنـه لا يخلـو كتابٌ مـن فائـدة، إما أن تعمـل بها، أو تحـذر منهـا، وليسـت العبـرة باقتنـاء الكتـب فـي المكتبـات، وتصنيفها فـي الأدراج، ولكـن العبـرة بالفهـم والمطالعـة فيهـا، فهـي خيـر سـمير فـي الليالـي، وأجمـل جليـس وأحسـنه وأكرمـه. وأعظـم الكتـب وأكملها وأفضلهـا علـى الإطلاق كتـاب الله جـل في علاه، هـو الصراط المسـتقيم والحبـل القويـم، مـن تركـه جبـار قصمـه اللـه، مـن حكـم بـه عـدل، ومن اهتـدى بـه مـا ضـل، هـو الفصـل ليـس بالهزل.

ومـن فوائـد الكتب أنها مؤنسـة، ومشـعلة بالخيـر، صارفة عن الشـر، دالـةٌ على طـرق الصـلاح، قاطعة لصحبة الأشـرار.

قـال أحـد العقـلاء: صحبـت النـاس فَمَلّونـي ومَلَلْتُهُـمْ، وصحبـت الكتـاب فمـا مللتـه ولا مَلَّنـي.

وقـد قيـل لعبـد اللـه بـن المبـارك -رَحِمَـهُ اللَّـهُ-: ألا تجلـس معنـا، وهـو يجلـس فـي مكتبتـه، قـال: أنـا أجلـس مـع أصحـاب محمـد -صَلَّىٰ اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ-، وصـدق فـإن العلـم فـي الكتب وفـي أقـوال الصحابة وعلمهـم رضـي اللـه عـن الجميع.

فانظـر هُديـت كيف أحبـوا الكتـاب، ولازمـوا مطالعته، ومـن الفوائد أيضاً:

نفـع الناس، وتوصيـل الخير للغير، فمـن جعل الكتـاب صاحبه انتفع ونفـس الناس، ومن خـدم المحابر خدمتـه المنابر.

ومن الفوائد أيضاً:

حفـظ الإنسـان لعمـره مـن الضيـاع، وحرصه علـى الإفادة مـن وقته، وقديمـاً قيل:

دقاتُ قلب المــــرء قائلة له   إن الحيــــاةَ دقائــــقٌ وثواني

وصدق من قال:

أعزُ مكانٍ في الدُنا سَرجُ سابحٍ   وخيرُ جليسٍ في الأنام كتابُ

ومن الفوائد أيضاً:

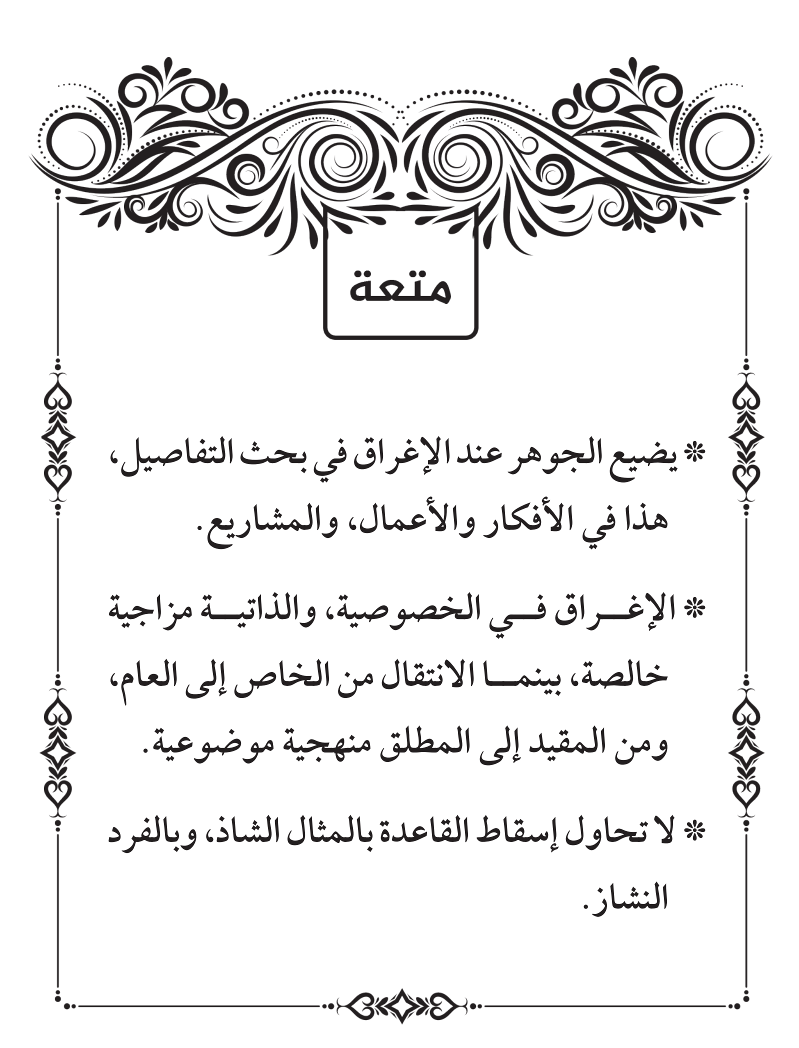
أنـك تطالـع فيـه أخبار مـن غَبَـرْ، وتنظر إلـى سـيرهم فتـزداد طموحاً وصبـراً وبصيـرة وحكمة، وهـذا فضل الله يؤتيه من يشـاء واللـه ذو الفضل العظيم.

ومن الفوائد أَيْضاً:

كشف شبهات القلب، وإزالة الحُجُبْ عن العقل ليرتوي من النقل، فإن الهداية في كتاب الله -جَلَّ وَعَزَّ- وفي سُنة نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وفقيه واحد أَشَدُّ على الشيطان من ألف عابد.

ومن الفوائد:

كبتُ الشهوات وربطها بزمام العلم والمعرفة، قال تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [القصص:٨٠].. وفي هذا طهارة لقلوبهم، فانظر لضبط الشهوة بالعلم، زادك الله علماً إلى علمك وتوفيقاً إلى توفيقك... والله الله في الكتاب فهو خير الصحاب..



متعة

* يضيع الجوهر عند الإغراق في بحث التفاصيل، هذا في الأفكار والأعمال، والمشاريع.

* الإغــراق فــي الخصوصية، والذاتيــة مزاجية خالصة، بينمــا الانتقال من الخاص إلى العام، ومن المقيد إلى المطلق منهجية موضوعية.

* لا تحاول إسقاط القاعدة بالمثال الشاذ، وبالفرد النشاز.

لا تيأس

اُطْرُقِ البـــابَ تجدنا عندَه بســــخاءٍ وببـــذلٍ وكَرمْ

لا تقل قد أغلـــقَ البابُ ولا تحملِ اليـــأس فتُلقى في نَدَمْ

فاليأس مجلبةٌ للحمق، ممحقة للعقل والفطنة..

يسيطر على قلوب المبدعين فيحيلها خراباً تنعق البوم فيها..

ويقهر أهل التقدم فترجع بهم العجلة إلى الخلف....

اليأس حجابٌ قاتم... ووجهٌ كئيبُ مكفهر ...

يحجب عن العين كل حسن، وعن العقل كل فهم، وعن القلب كل تفاؤل، وعن المستقبل كل تميز وطموح، وعن الحياة كل متعة ...

إن عين اليائس تنظر إلى الكون في منظارٍ معتم قاتم، فلا جلال، ولا جمال، ولا أغصان، ولا أفنان، إنما ترى البؤس والهلاك والهلع.

إن اليأس ليهجم على النفس فيخنقها عن تنفس هواء البشرية، وعن طعم سعادة الإنسانية، .... «واليأس يقطع أحياناً بصاحبه...».

إن اليأس مجلبة للآلام... مخزنة للأنفس ... مقبرةٌ للإنتاج والإبداع والتميز..

عين اليائس ... عينٌ بائسة...

وهمةُ اليائس همةٌ عابسة..

وقلب اليائس مظلمٌ من أنوار التفاؤل..

لا سعادة مع اليأس، ولا يأس مع السعادة..

يأتـي الشـيطان فيـدأبُ علـى بَـثّ اليـأس فـي قلـوب أهـل الإيمـان، مـن الرحمـن والغفـران... فيدفعونـه بإيمانهـم، ويحاربونـه بتوحيدهم.... فينجلي عن قلوبهـم.. ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، فبذكـر الله ينجلي اليـأس، وتذهب من القلـب البلابـلُ والقلاقل.

الله أكبـــــرُ هـــــمٍّ ينجلي عن قلب كل مكبـــــرٍ ومُهَلِلِ

فـلا يـأس مـن رَوْحِ اللـه، ولا مـن رحمتـه ومغفرتـه مهمـا كانـت الذنـوب، ومهمـا كان التقصيـر ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

فـلا يـأس مـع التوبـة، بـل تجديـد للحيـاة، وفتـح حسـاب جديد من ربِّ العبيـد جـل ذكـره، ومحـو للسـالفات مـن الخطايـا والأوزار بتوبـة صادقـة، تجـدد متعـة الحيـاة ..

والمنهـج: ﴿ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمـر: ٥٣]... لمـاذا؟! .. لأن ﴿ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمـر: ٥٣].. فهـو ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣] ... جل شـأنه.

وتذكـر قولـه: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٍ ﴾ [الأعـراف: ١٥٦] ... وهـو رحمـن رحيـم... رحمن بعامـة خلقـه ورحيـم بالمؤمنين ﴿ وَكَانَ

بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

ثـم إيـاك والتوقعـات القاتلـة، والأماني الزائفـة، فلا تتوقـع الحوادث والكـوارث، ولا تتصـور أن عالمـك هـو عالـم أحـزان ومصائـب فقـط، فتـورق شـجرة اليـأس فـي قلبـك، وتزهـر وتثمـر الخنـوع، والانهزامية.

إذاً ..... فـلا يـأس فـي هـذه الحيـاة... ولكـن عمـلٌ وجهـادٌ ونيـة.. ليتحقـق النجـاح والتقـدم ويحصـل التميـز والإبـداع.

قلبٌ يُطلّ علـــــى أفكاره ويدٌ   تُمضي الأمور ونفسٌ لهوها التَّعبُ

لأن اليـأس ناقـضٌ مـن نواقض السـعادة في الحيـاة، جالبٌ للتشـاؤم المذمـوم الـذي يخالـف منهـج المؤمـن المطمئـن بإيمانـه الواثـق بربـه، المعتمـد عليـه فـي مهامـه، المفـوض أمـرهُ إليـه فـي جميـع شـؤونه، فمن توجـس الشـر، ويـأس مـن الخير جعـل سـهام الضعـف والعجز والكسـل إلـى فـؤاده نافـذة... ويجمـع عقـلاء بنـي البشـر أن اليـأس أصـلٌ أصيـلُ فـي تحطيـم السـعادة، وراحة البـال، وأن التفـاؤل ركـنٌ مـن أركان النجاح وركيـزة مـن ركائز صناعـة المتعـة، «فعجباً لأمر المؤمـن... إن أمـرهُ كلهُ له خيـر، إن أصابتـه سـراء شـكر فكان خيـراً لـه، وإن أصابتهُ ضـراء صبر فكان خيـراً لـه، وليـس ذلـك إلا للمؤمن».

فعجباً لأمره.. وإنما هي صبر ساعة فتنجلي الهموم..

فما هي إلا ســـــاعةٌ ثم تنقضي   ويذهب هذا كلـــــهُ ويزولُ

المتفائـل؛ تجدهُ منشـرح البال ... سـاكن النفس ... مؤديـاً لواجباته.. صادقاً مـع الآخرين.. صابراً... كيسـاً... فطناً.. منتجـاً... باذلاً..

منهجـه ... «احـرص على مـا ينفعك واسـتعن باللـه ولا تعجـز، وإذا أصابـك شـيء فـلا تقـل لـو أنـي فعلـت كذا لـكان كـذا وكـذا، ولكـن قل: قـدّر اللـه ومـا شـاء فعل، فـإن لـو تفتح عمـل الشـيطان» رواه مسـلم.

وطريقته ... ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وعمدته ... ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

وعلـى لـوح قلبـه حديـثٌ قدسـيٌ عظيـم.. يقـول الله عَـزّ وَجَـلَّ فيه: «أنـا عند حسـن ظـن عبـدي بي».

فلا تيأس، ولا تبأس..

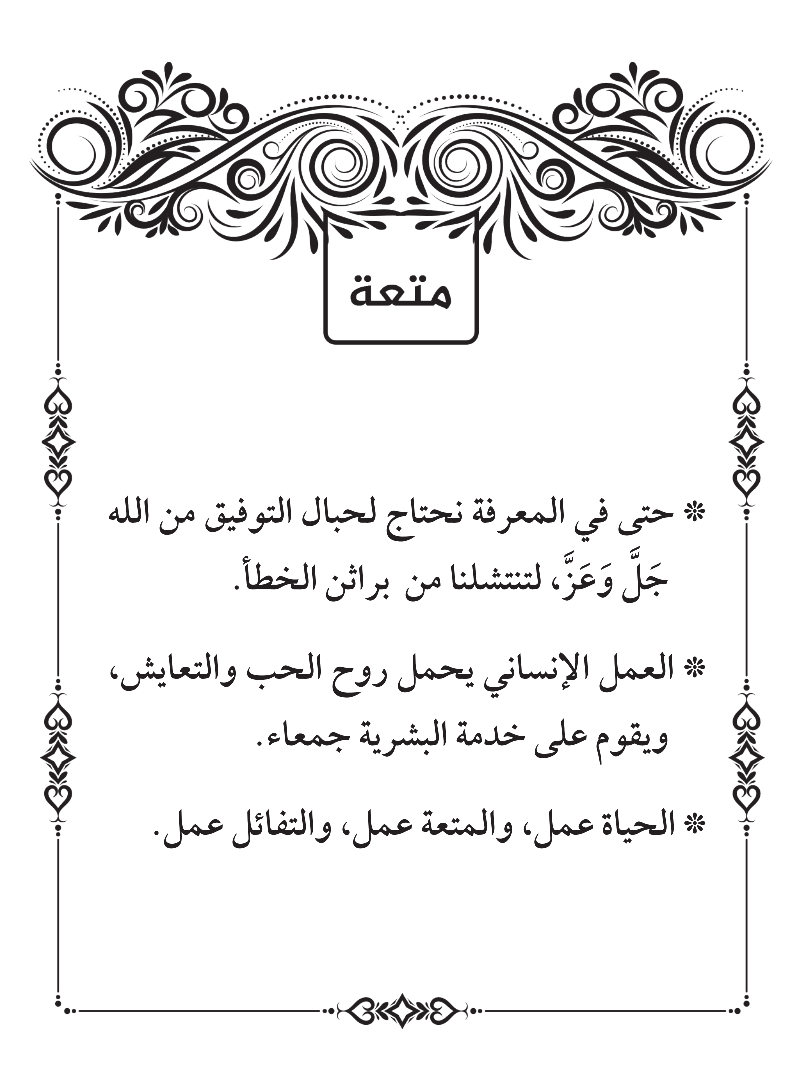
وصدق علي بن جبلة العكوك إذ يقول:

فلا تيأس إذا حصلت هماً يقبض النفس ... فأقرب ما يكون المرء من فرج إذا يئس

ثـم أعلـم أنـه لا صناعـة ناجحـة للمتعـة مـع اليـأس... ولا يـأس مع صناعـة المتعـة الناجحـة.. وتذكـر...

رُبَّ أمـــرٍ تتقيـــهِ ... جـــرَّ أمـــرً ترتجيـــهِ
خفــــيَ المحبـــوبُ منهُ ... وبـــدا المكـــروهُ فيـــه
فاتـــرك الدهرَ وسَـــلّمهُ ... إلـــى عَـــدْلٍ يليـــهِ

ولا تيـأس، واعلـم أن المآسـي قـد تلـد عبقريـاً... فـلا تيـأس واصنع متعتـك في حياتـك ....



متعة

* حتى في المعرفة نحتاج لحبال التوفيق من الله جَلَّ وَعَزَّ، لتنتشلنا من براثن الخطأ.

* العمل الإنساني يحمل روح الحب والتعايش، ويقوم على خدمة البشرية جمعاء.

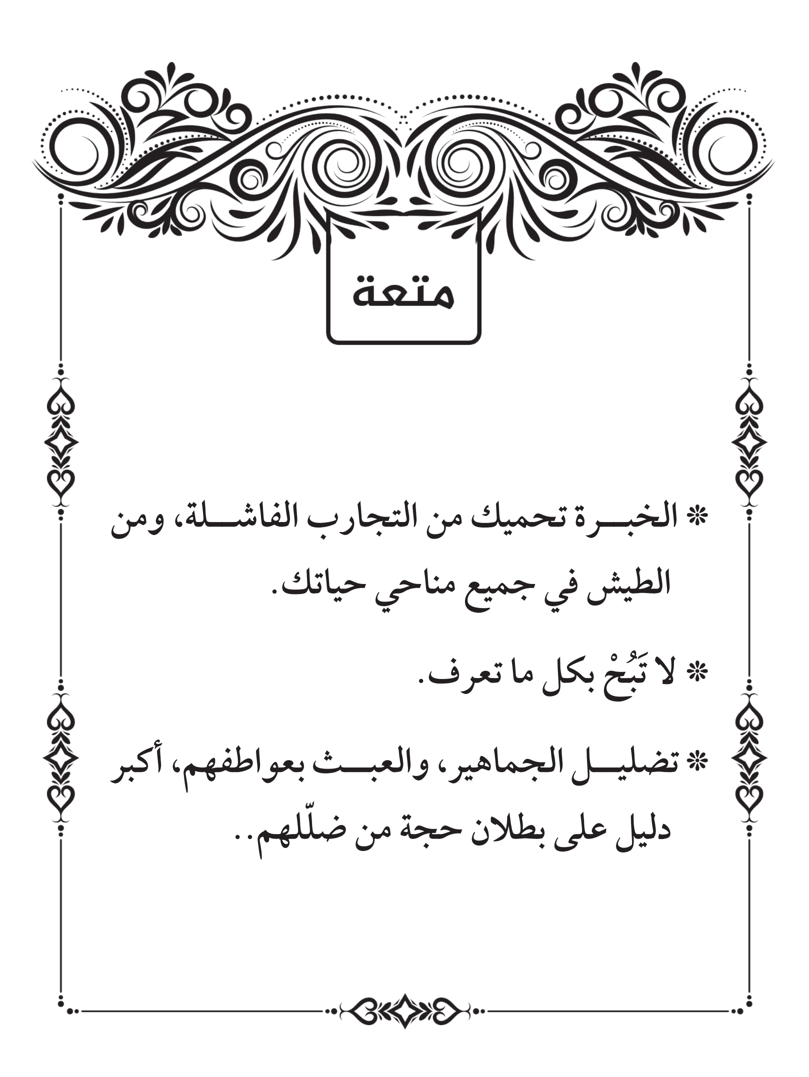
* الحياة عمل، والمتعة عمل، والتفائل عمل.

فرجٌ قريبٌ

«اللهـم اقسـم لنـا مـن خشـيتك مـا تحـول بـه بيننـا وبيـن معاصيك، ومـن طاعتـك مـا تبلغنـا به جنتـك ومـن اليقين مـا تهوّن بـه علينـا مصائب الدنيـا، ومتعنـا بأسـماعنا وأبصارنـا وقواتنـا مـا أحييتنـا، واجعلـه الـوارث منـا، واجعـل ثأرنـا علـى من ظلمنـا، وانصرنـا على مـن عادانـا، ولا تجعل مصيبتنـا فـي ديننـا، ولا تجعـل الدنيا أكبر همـا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسـلط علينـا بذنوبنـا مـن لا يرحمنا».

قال علي بن مقلة:

إذا اشتملت على اليأسِ القلوبُ	وضاقَ لما به الصدرُ الرحيبُ
وأوطنتِ المـــــكارهُ واطمأنتْ	وأرستْ في أماكنها الخطوبُ
ولم ترَ لانكشافِ الضرِّ وجهاً	ولا أغنى بحليتـــــهِ الأريبُ
أتاكَ على قنوطك منك غوث	يَمُنُّ بهِ القريبُ المســـــتجيبُ
وكُلُّ الحادثـــــاتِ وإن تناهتْ	فموصولُ بها فـــــرجُ قريبُ



متعة

* الخبـرة تحميك من التجارب الفاشـلة، ومن الطيش في جميع مناحي حياتك.

* لا تَبُحْ بكل ما تعرف.

* تضليـل الجماهير، والعبـث بعواطفهم، أكبر دليل على بطلان حجة من ضلّلهم..

الدعوى الباطلة

إن ادعـاء الكمـال ... قمة الاحتيـال .. ثم إنَّهُ ليس مـن الضروري أبداً أن تحـوز علـى درجة كاملـة في امتحانـك؛ وتوقع أسـوأ الاحتمـالات فإذا جـاءت النتيجة كنـت متميـزاً بالطمأنينة وراحـة البال، وسـلامة الأعصاب. أرض بالقليـل، وتوقـع الأقـل، واعلـم أنَّ مـن أدام النظر إلى الأعلى سـقط علـى وجهـه، فكن ممن يُقَـدِّرُ الأمـورَ بقَدرِها فهـذا مفتاح مـن مفاتيح متعة الحياة.

فإن دخلت امتحاناً صعباً، وقدمت فيه بطريقة مقلقة..

فوطِّـنْ نفسـك على أقـل النتائـج دائماً، تجـد أنك حيـن تحصل على درجـة أقلُّ مـن الكمـال -بقليـل- فـي سـعادة، فقـد وَطَّـنـتَ نفسـكَ على القليل..

ولـو أخفقت فلـن تكن الصدمـة قوية جـداً فقد وَطَّنتَ نفسـك كذلك على أقـلِّ الاحتمالات ..

فكيف لو جعلت قاعدتك:

«مـن الضـروري أن أحصل علـى الدرجة كاملـةً لكن مع بـذل الجهد والسـبب، فـإن أخفقـت؛ فقد بذلت طاقتـي وجهدي» .. فأنا أشـعر بالرضى بالقضا..

فإنـك سـتحقق نجاحاتـك بسـعادة ومتعة وسـتتحمل إخفاقاتـك بثقة

فـي النفـس علـى القـدرة علـى التطويـر والتقـدم، فـلا تكـن تعيسـاً لمجرد درجـة أو درجتيـن.. فيمنعـك ذلـك مـن نجاحـات قادمة...

وقـرر أنـك سـوف تَّعـوْض هـذا النقـص فيمـا يسـتقبل مـن العمـر - فإنـك سـوف تصنـع المتعـةَ.. فـي حياتـك..

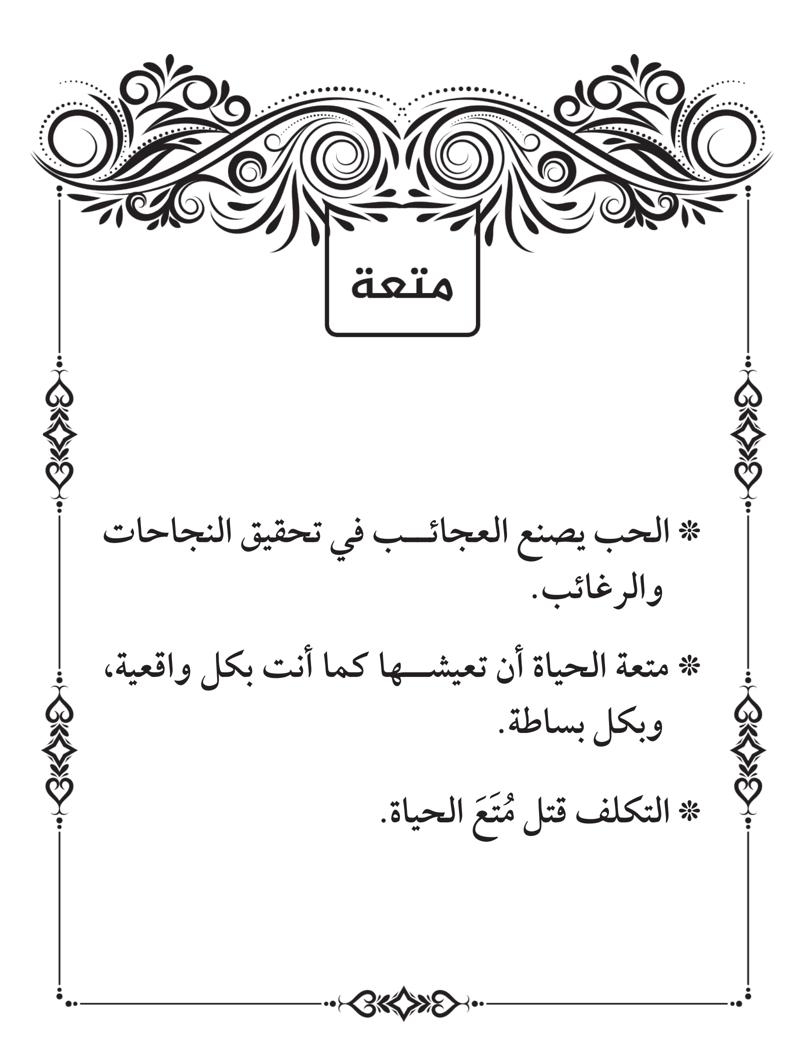
واعلـم أنـك لا تـذلُّ ولا تضعـف إلا إذا أردتَ ذلـك، واختـرتَ ذلك لنفسك .

ولا تغضب بعد ذلك من أنواع الانتقاص ممن حولك..

فـإن جَعَلْـتَ مـن نفسـك دودةً فـلا تَلُـمْ مـن يدوسـك بقدمـه وهو لا يشـعر «ومـن يرضى أن يبقى حماراً مُسَـرّجاً»..، وإن كنـتُ أدعوك لمحاولة النهوض.

وإنمـا صانـع المتعـة باحـثٌ عـن الكمـال البشـري الدنيـوي، وهـو نسـبي، ولكنـه حريـصٌ علـى النجـاح والإبـداع وإن فاتتـه فرصـة عـاود، وحـاول وكـرر...

وإن سـقط فـي الطريـق، جعل مـن سـقوطه سُـلَّماً لنجاحاتـه، ودافعاً لنفسـه لتحقيـق أهدافـه المنشـودة..، متعنا اللـه وإياكـم بحياتنا..



متعة

* الحب يصنع العجائــب في تحقيق النجاحات والرغائب.

* متعة الحياة أن تعيشــها كما أنت بكل واقعية، وبكل بساطة.

* التكلف قتل مُتَعَ الحياة.

الكمال ليس للخلق .. فاطمئن..

تفـرَّد الخالـق ﷻ بالكمـال المطلـق، فـلا يخالـج نفسـك أيُّ قلـق أو وَهَـمّ.. إن أنـت فاتـك شـيء مـن كمالاتك البشـرية..

ولكـنْ شُـدَّ العـزم علـى تكـرار المحاولـة، والدأب في سـلوك سُـبل النجـاح عسـاهُ جـلَّ فـي عـلاه أنْ يوفقـك ويعينـك لمـا تصبـو إليـه.. فهذا مسـلكُ أهـل التميـز، ومتعـةٌ للحياة.

ولـك فـي النمـل عبـرة.. فـي صبـره، ومصابرته علـى تحقيق مـراده، وتكـرارهُ للمحاولـة مراتٍ ومرات، وكّـرّاتٍ وكَرّات، حتى يفـوز بالمأمول، ويحظـى بحـلاوة الوصـول.. وبروعة التميز.. ومتعـة الحياة، ولـم تُقَصِّر به راحلـةُ الحـال، ولـو كان نمـلاً؛ ولكـن الهمـة الوثابـة، والثقـة فـي الذات، والصبـر والمصابـرة، وتكـرار المحـاولات، مفتـاحٌ للوصـول إلـى الكمال البشري..

قال محمد ابن الحنفية:

الكمـالُ في ثـلاث: «العفة في الدِّيـن، والصبر على النوائب، وحسـن تقدير المعيشة» ا.هـ.

وهـذا الكمـال نسـبي بحسـب مـا يقـوم فـي القلـب مـن ثقـة بالرب، والصبـر فـي الكـرب... والاسـتغفار مـن الذنـب..

متعكم الله برضاه ... وبالسعادة في الحياة ..



متعة

* إذا أردت ضبــط حياتك، ومتعة دنياك، فعليك بضبط صَلاتِكْ، والإحسان إلى صِلاتك.

* اليأس؛ مشنقة المتعة.

* المخالفــة للمعهــود، مفتاحٌ للفــت الأنظار، وجلب الأتباع، وتكثيرهم والمكاثرة بهم.

المرسى

وترسوا قواربُ الحياة في مرسى السعادة، والمتعة.

ويبقى طالبُ النجاة متأملاً في المرسى..

مغتبطاً بشاطئ السعادة.. معالجاً خلجات نفسه..

ونفثات صدره، بنمير المتعة..

مبدعاً، سعيداً، مطمئناً..

بعد رحلة طالت..

وقواربَ جالت..

أقول لك:

إيـاك والغـرق فـي لُجّـة الوهـم، والأحـزان، أو فـي بحـر العجـز والخـور..

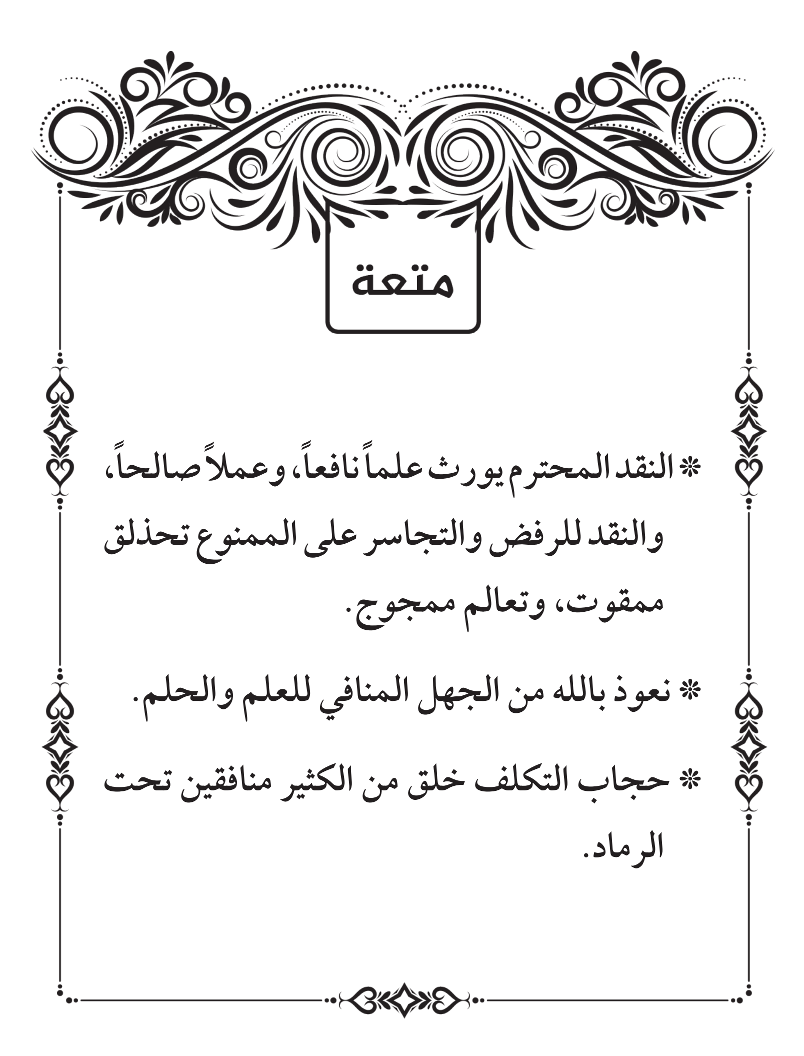
فأنت إنما خُلقت للتحلي بتوحيدك ...، والرضى بما قضا ربك..

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] ...

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣]...

﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ [لقمان: ١٧].

وقد عَقلتَ فاعمل، لترى الثمرة تُزَيِّنُ أغصان دنياك...



متعة

* النقد المحترم يورث علماً نافعاً، وعملاً صالحاً، والنقد للرفض والتجاسر على الممنوع تحذلق ممقوت، وتعالم ممجوج.

* نعوذ بالله من الجهل المنافي للعلم والحلم.

* حجاب التكلف خلق من الكثير منافقين تحت الرماد.

فـي أمـان اللـه.. ومتعـة حيـاة.. وسـلامة ديـن، ودنيـا، ورعايـة اللـه وحفظـه.. ورعايتـه..

محبك

د. محمد بن سرّار اليامي

الفهرس

مفاتيح الوسائل المفيدة للحيّاة السَّعِيدَة

تأليف

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

١٣٧٦هـ

علق عليها

د. محمد بن سرّار بن علي اليامي


بسم الله الرحمن الرحیم

المقدمة

الحمد لله الذي له الحمد كله، وأشهدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحدهُ لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا بعدهُ ورسوله، صلى الله عليه وسلم وعلى آلهِ وأصحابهِ وسلم.

أما بعد: فإنَّ رَاحَة القَلْب وطُمأنينته وسُروره، وَزَوَال هُمُومه وغُمُومه هو المَطْلب لكل أحد، وبه تَحْصُل الحياة الطَّيبة، ويتم السُّرور والابتهاج ولذلك أسبابٌ دينيةٌ، وأسبابٌ طبيعيةٌ، وأسبابٌ علميةٌ.

ولا يمكن اجتماعها كلّها إلا للمُؤمنين[(١)]، وأما مَنْ سُوَاهم فإنها وإن حَصلت لهم من وجهٍ وسَبَبٍ يجاهد عقلاؤهم عليه فاتتْهُم من وَجْهٍ أنفع وأثبت وأحسن حالًا ومآلا[(٢)].

---

(١) يقول ابن رجب: «ولا صلاح للقلب بدون الإيمان بالله..» ا. هـ. إذا عُلِمَ هذا فهل يُعلم أن الإيمان بالله ﷻ هو مفتاح السعادة في الدارين وأصلٌ أصيل في دفع الشرور والأحزان عن أهل الإيمان يقول ابن القيم في الفوائد: «فما دُفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كانَ دعاء الكَرب بالتوحيد، ودعوةُ ذي النون التي ما دعى بها مكروبٌ إلا فرَّج اللهُ كربه بالتوحيد...» ا.هـ.

(٢) وصدق إذ أن أكمل الطمأنينة، والسعادة، والرضى، في الإيمان باللهِ جل في علاه..؛ وأن أفضل الأعمال عند الله وأزكاها هو الإيمان لِمَا روى أبو ذر رضي الله عنه من سؤالهِ لرسول الله ﷺ بقوله: «يا رسول الله، أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله والجهاد في سبيله».
وأيضًا يقول الحق ﷻ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ويقول ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، فجعل سُبحانه أصلُ الطمأنينة والسعادة هو ذكرهُ ﷻ، وأعظم الذكر: لَا إِلَهَ إِلَّا

ولكنـي سـأذكر برسـالتي هـذه مـا يحضرنـي مـن الأسـباب لهـذا المطلـب الأعلـى، الـذي يَسْـعَى لـه كل أحـد.

فمنهـم: مـن أصـاب كَثِيـرًا منهـا، فَعَـاش عيشـةً هنيئـةً، وحَيـي حيـاةً طيبةً .

ومنهـم: مـن أَخْفَـق فيهـا كلهـا، فعـاش عيشـة الشَّـقاء وَحَيـي حيـاة التُّعسـاء.

ومنهم: من هو بَيْن بَيْن، بحسب ما وفق له.

والله الموفق المُسْتَعَان به على كل خير، وعلى دَفْع كل شَرّ[1].

اللهُ، ولو توافرت لهُ الأسباب الحسية المادية كلها بلا إيمان، فلا سعادة...

وصدق من قال: مقلةٌ بلا إيمان عمياء.. وقلبٌ بلا إيمان مضغة لحم.. ورأسٌ بلا إيمان فارغ..

وحياةٌ بلا إيمان موتٌ محتمُ..

(١) ومعيارُ هذه الأسباب وميزانها هو الإيمان بالله وبملائكته وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليوم الآخر، والقدر خيرهُ وشره، حُلوه، ومُرّه من الله جل في عُلاه... فمن تّمَّ إيمانهُ تَمّتْ له السعادة، وبقدر نقصه تنقص السعادة.. يقول ابن رجب ؒ:"ما قدم أحدٌ حق الله على هوى نفسه وراحتها إلا ورأى سعادة الدنيا والآخرة، ولا تمكّسَ أحدٌ ذلك وقَدَّم حظَّ نفسه على حق ربه إلا ورأى الشقاوة في الدنيا والآخرة» ا.هـ.

وسيأتي كلام الشيخ عن أُسّ السعادة وأعظم أسبابها..

فصل

1- وأَعْظَمُ الأسباب لذلك وأَصْلها وأُسُّها هو: الإيمان والعمل الصَّالح

قال تَعَالَى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

فأخبر تَعَالَى، ووعد من جمع بين الإيمان والعمل الصالح، بالحياة الطَّيبة في هذه الدَّار، وبالجزاء الحَسَن في هذه الدَّار، وفي دار القَرار.

وسَبَبُ ذلك واضح؛ فإنّ المؤمنين بالله الإيمان الصَّحيح[١]،

(١) إذا أن تعريف الإيمان هو: القول باللسان، واعتقاد بالجنان والعمل بالجوارح والأركان، ويزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان.. **وإن سئلت عن سُبل تقويته فدونكها:**

أ- المحافظة على الفرائض.

ب- مصاحبة أهل الإيمان؟ ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨].

ج- التفكر في النعم.

د- الجد والاجتهاد في الأعمال الصالحة.

هـ- الدعاء.

و- الدعوة إلى الله وتبليغ دينه.

المُثْمِر للعمل الصَّالح المُصْلِح للقُلوب والأخلاق والدُّنيا والآخرة،

ز- تعظيم حُرمات الله وشعائره، ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

ح- محاسبة النفس.

ط- زيارة القبور واتباع الجنائز للرجال، وعيادة المريض.

هذه جملة من السبل المقوية للإيمان في قلب المؤمن كي يزداد سعادة إلى سعادته.

وإن سئلت عن أسباب قسوة القلوب، ومفاتيح ضعف الإيمان فمنها:

أ- استصغار الذنوب، وعدم المبالاة بها. «إياكم ومحقرات الذنوب».

ب- تنافس الدنيا والخلود لها والميل عن عمارة الدار الآخرة.

ج- الغفلة عن ذكر الله.

د- ورود الآفات القلبة من الرياء، والعُجب، والشُّح، والغرور وغيرها.

هـ- مخالطة رفقاء السوء.

و- كثرة الإسراف في المباحات.

ز- الإبتعاد عن البيئة الصالحة، والقدوات الصادقة.

ح- طول الأمل، والتسويف، وغيرها كثير.

وإن سئلت عن آثار الإيمان في الحياة فمنهها:

أ- الانقياد للشرع والزيادة في الخير.

ب- الحماية من لوثات الشرك، والبدع.

ج- الحب في الله، والبغض في الله.

د- الصبر، فإنه حبس النفس في سبيل رضى الرب.

هـ- تولي الله ورسوله.

و- إكسابه للمؤمن الخلق الحسن.

ز- السعادة الحقيقية، والراحة النفسية.

وإن سألت عن ثمار الإيمان في الحياة وجدت منها:

أ- حصول المعية الخاصة والعامة من الله للمؤمنين.

ب- الفوز برضى الله والجنة.

ج- دفاع الله عن أوليائه وحزبه وأحبابه.

د- الرفعة في الدين والإمامة فيه.

معهـم أصُول وأسـس يتلقـون فيها جميع ما يرد عليهم من أسـباب السُّـرور والابتهـاج، وأسـباب القَلَـق والهـمّ والأحزان.

يَتَلَقّـون المَحَـاب والمَسَـار بقَبُـولٍ لها، وشُـكْرٍ عليها، واسـتعمال لها فيمـا ينفـع، فإذا اسـتعملوها على هـذا الوجه، أَحْـدَثَ لهم مـن الابتهاج بها والطَّمـع فـي بقائهـا وبركتها، ورجـاء ثواب الشَّـاكرين، أمـورًا عظيمة تفوق بخيراتهـا وبركاتهـا هذه المَسَـرَّات التي هـذه ثمرتها.

وَيَتَلقّـون المَـكَاره والمَضَـار والهـمّ والغَـمّ، وبالمقاومة لمـا يُمكنهم مقاومتـه وتخفيـف ما يُمكنهـم تخفيفه، والصَّبـر الجميل لما ليـس لهم عنه بُدٌّ.

وبذلـك يَحْصُـل لهـم مـن آثـاره المـكاره مـن المقاومـات النافعـة، والتجـارب والقـوة، ومن الصَّبر واحتسـاب الأجـر والثواب أُمـورًا عظيمة، تضمحـل معهـا المـكاره، وتحـلّ محلهـا المَسَـار، والآمـال الطيبة.

والطَّمع في فضل الله وثوابه.

كمـا عَبَّـرَ النبـي ﷺ عن هـذا، في الحديـث الصحيـح أنه قـال: «عَجَبًا

هـ- محبة الله لهم.

و- الحياة الطيبة في الدارين.

ز- محبة الله لهم ومحبتهم له.

ح- حصول البشري بالكرامة من الله لهم ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

ط- الثبات على الطاعات.

ي- الإنتفاع بالموعظة، والاتعاظ بالنصيحة.

ك- حصولهم على الخير في كل حال من سعة وضيق، فعجبًا لأمر المؤمن.

ل- عصمة العبد من الوقوع في الفواحش والموبقات.

لأَمْـرِ المُؤْمِـن، إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْر؛ إِنْ أَصَابَتهُ سَـرَّاء شَـكَرَ فـكانَ خيرًا لهُ، وإن أَصَابتـهُ ضَـرّاء صَبَـر؛ فكانَ خَيرًا لـهُ، وليسَ ذَلِـكَ لأَحَـدٍ إلا للمُؤْمِن»[١].

فأخبـر «أن المؤمـن يَتَضَاعَف غُنْمـه وخيره، وثمـرات أعماله، في كل ما يطرقـه من السُّـرور والمَكَاره.

لهـذا تجـد اثنين تطرقهمـا نائبة مـن نوائب الخيـر أو الشـر، فيتفاوتان تفاوتـا عظيمًـا فـي تقليهـا، وذلـك بحسـب تفاوتهمـا فـي الإيمـان والعمل الصالح[٢].

هـذا الموصـوف بهذيـن الوصفين يتلقى الخير والشـر بمـا ذكرناه من الشـكر والصَّبـر ومـا يتبعهمـا، فيحدث لـه السـرور ولابتهـاج، وزوال الهم والغـم والقلـق وضيـق الصَّـدر، وشـقاء الحيـاة، وتتم لـه الحيـاة الطيبة في هـذه الدار.

والآخـر يَتَلَقَّـى المحـاب بأشـرٍ وبطـرٍ وطغيـان، فَتَنْحَـرِف أخلاقـه وَيَتَلقَّاهـا كمـا تَتَلَقَّاهـا البهائـم بجشـعٍ وهَلَـع.

ومـع ذلـك فإنـه غير مستريح القلـب، بـل مُشَـتَّتَه من جهـات عديدة

---

(١) رواه مسلم.

(٢) يقول ابن القيم: «إن ما يصيب المؤمنين في الله تعالى مقرون بالرِّضا والاحتساب، فإن فاتَهُمْ الرِّضا فمعوَّلهم على الصبر، وعلى الاحتساب وذلك يُخَفِّف عنهم ثقل البلاء ومؤنته، فإنهم كلما شاهدوا العِوَض، هان عليهم تحمُّل المَشَاق والبلاء، والكفار لا رضا عندهم ولا حسَاب، وإن صبروا فكصبر البهائم، وقد نبه الله تَعَالَى على ذلك بقوله: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء: ١٠٤]» ا هـ.

مُشَتَّت من جهة خَوفه من زَوَال محبوباته، ومن كثرة المعارضات النَّاشئة عنها غالبًا، ومن جهة أن النفوس لا تقف عند حد، بل لا تزال مُتَشَوِّفة لأمور أخرى، قد تَحْصُل وقد لا تَحْصُل، وإن حَصَلَت على الفرض والتَّقدير؛ فهو أيضًا قَلِق من الجهات المذكورة.

ويتلقَّى المكَاره بِقَلَقٍ وجَزعٍ وخوفٍ وضجرٍ، فلا تسأل عن ما يَحْدُث له من شقاء الحياة، ومن الأمراض الفكرية والعصبية، ومن الخوف الذي يَصِل به إلى أسوأ الحالات وأفظع المُزْعِجات، لأنَّه لا يرجوا ثوابًا، ولا صبر عنده يسليه ويهون عليه.

وكل هذا مُشَاهَد بالتَّجربة.

ومثلٌ واحدٌ من هذا النوع، إذا تَدَبَّرته، ونزّلته على أحوال الناس رأيت الفرق العظيم بين المؤمن العامل بمقتضى إيمانه، وبين من لم يكن كذلك؛ وهو: أن الدَّين يحثُّ غاية الحثِّ على القَنَاعة بِرِزْقِ الله، وبما آتى العباد من فضله وكرمه المتنوع.

- فـ«المؤمن» إذا ابْتُلي بمرض أو فقر، أو نحوه من الأعراض التي كل أحد عُرضة لها، فإنه بإيمانه، وبما عنده من القناعة والرِّضى بما قَسَمَ الله له تجده قرير العَين لا يَتَطَلَّب بقلبه أمرًا لم يُقَدَّر له، ينظر إلى من هو دونه ولا ينظر إلى من هو فوقه، وربما زادت بهجته وسُروره ورَاحته عَلَى من هو مُتَحَصِّل عَلَى جميع المطالب الدنيوية إذا لم يؤت القَنَاعة.

- كما تجد هذا الذي ليس عنده عمل بمُقْتَضى الإيمان، إذا ابتلي بِشَيءٍ من الفقر أو فَقْد بعض المطالب الدنيوية، تجده غاية في التَّعَاسة

والشقاء.

ومثلٌ آخرٌ: إذا حدثت أسباب الخوف وألَّمت بالإِنسان المزعجات.

- تَجِدُ «صَحِيح الإيمان»؛ ثَابت القلب، مُطْمَئن النفس، متمكنًا من تدبيره وتسييره لهذا الأمر الذي دَاهَمَهُ، بما هو في وسْعه من فِكْرٍ وقولٍ وعملٍ، قد وطَّن نفسه لهذا المزعج المُلِم.

وهذه أحوال تُريح الإنسان وتُثَبِّت فؤاده.

كما تجد «فاقد الإيمان» بِعَكْس هذه الحال، إذا وقعت المخاوف انزعج لها ضميره، وتوتَّرت اعصابه، وتَشَتَّت أفكاره، ودَاخَلَهُ الخوف والرُّعب، واجتمع عليه الخوف الخارجي، والقلق الباطني الذي لا يمكن التعبير عن كنهه.

وهذا النوع من الناس إن لم يحصل لهم بعض الأسباب الطبيعية التي تحتاج إلى تمرين كثير، انهارت قواهم، وَتَوَتَّرَت أعصابهم؛ وذلك لِفَقْد الإيمان الذي يحمل على الصَّبر، خُصوصًا في المحال الحرجة، والأحوال المحزنة المزعجة.

فالبَرّ والفَاجر، والمؤمن والكافر يشتركان في جَلْب الشجاعة الاكتسابية وفي الغريزة التي تُلَطِّف المخاوف وتُهونها، ولكن يتميَّز المؤمن بقوة إيمانه وصبره وتوكله عَلَى الله واعماده عليه واحتسابه لثوابه أُمُورًا تزداد بها شجاعته، وتخفف عنه وطأة الخوف وتُهَوِّن عليه المَصَاعِب.

كما قال تَعَالَى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ

وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء: ١٠٤].

ويَحْصُل لهم من معونة الله ومعينه الخاص ومَدَده ما يُبَعْثِر المخاوف.

وقال تَعَالَى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

2- ومن الأسباب التي تُزيل الهم والغم والقلق: الإِحسان إلى الخلق بالقول والفعل، وأنواع المعروف

وكلها خير وإحسان(١).

وبها يدفع الله عن البَرْ والفَاجِر الهُموم والغُموم بحسبها، ولكن للمؤمن منها أكمل الحَظِّ والنَّصيب(٢)، ويتميَّز بأن إحسانه صَادِر عن إخلاص واحتساب لثوابه، فيهون الله عليه بَذْل المَعْرُوف لما يرجوه من الخير ويَدْفَع عنه المكاره بإخلاصه واحتسابه.

• قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٣) [النساء: ١١٤].

(١) وصدق من قال: أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهمُ لطالما استعبدَ الإنسان إحسانُ

(٢) وقد جاء عن بعض الصحابة رضي الله عنه قوله: صنائع المعروف تقي مصارع السوء.

(٣) إذ أن المؤمن الباذل الخير لمستحقيه... أكملُ حالاً، ومآلاً من غيره.. فهو يرجو رحمة ربه، وهم يرجون عرضًا من الحياة الدنيا، ولا مقارنة، ولا مشابهة..
علاوة على هذا فهو صاحبُ إخلاصٍ في بذله لوجه الله، واتباع لمنهج رسول الله ﷺ، فليس صاحب شهرة، أو طالب سمعة، لأنهُ تعلم... «من راءى راءى الله به... ومن سَمَّعْ سَمَّعَ الله» فسار في طريق المخلصين.

فأخبر تَعَالَى أن هذه الأمور كلها خير ممن صَدَرت منه، والخير يَجْلب الخير[١]، ويدفع الشَّر، وأن المؤمن المُحْتَسِب يُؤتيه أَجرًا عظيمًا[٢].

ومن جملة الأجر العظيم: **زَوَال الهَمّ والغَمّ والأكدار ونحوها.**

---

(١) والحسنة تقول: أختي ... أختي...

(٢) في الدنيا من تفريج الكرب، وإزالة الهَمّ والغَمّ، وفي الآخرة من الرضى، والرضوان، والنعيم والجنات، والدرجات العاليات، نسأل الله الكريم من فضله...

فصل

3- ومن أسباب دَفع القَلَق النَّاشئ عن توتر الأَعْصَاب، واشتغال القلب ببعض المُكَدِّرات:

فإنها تُلهي القلب عن اشتغاله بذلك الأمر الذي أقلقه، وربما نسي بسبب ذلك الأسباب التي أَوجَبَت له الهَمّ والغَمّ، فَفَرحت نفسه، وازداد نشاطه.

وهذا السَّبب أيضًا مشترك بين المؤمن وغيره، ولكن المؤمن يَمْتَازُ بإيمانه وإخلاصه واحتسابه في اشتغاله بذلك العلم الذي يَتَعَلَّمه أو يعمله، ويعمل الخير الذي يعلمه.

إن كان عبادة فهو عبادة؛ وإن كان شُغلًا دنيويًا، أو عَادة دنيوية أَصْحَبها النِّية الصالحة، وقصد الاستعانة بذلك على طاعة الله.

فلذلك أَثَرُهُ الفَعَّال في دفع الهَمّ والغُمُوم والأَحزَان.

فكم من إنسان ابْتُلي بالقَلَق، ومُلازمة الأكدار، فحَلَّت به الأمراض المُتَنَوِّعة، فَصَار دواؤه النَّاجح، نِسيان السَّبب الذي كَدَّره وَأَقلَقَهُ واشتغاله

بِعَمَلٍ مـن مُهِمَّاته[١].

وينبغـي أن يكـون الشُّـغل الـذي يشـتغل فيـه ممـا تَأْنـس بـه النَّفـس وتَشْـتَاقُه فـإن هـذا أَدعَـى لحصـول هـذا المقصـود النافـع واللـه أعلـم.

(١) «إني لَأمْقُت الرَّجل أَراهُ فَارِغًا، لا في عَمَل الدِّين وَلا في عَمَل الدُّنيا» قالها سلفنا الصالح ﷺ حينما علموا أن الفراغ خطيرٌ جِدّ خطير على حياتهم، وعلى دنياهم ودينهم...

4- ومما يدفع به الهم والقلق: اجتماع الفِكْر كُله على الاهتمام بعمل اليوم الحاضر

وقطعه عن الاهتمام في الوقت المستقبل وعن الحُزن على الوقت الماضي.

ولهذا استعاذ النبي ﷺ من الهَمِّ والحَزَن[١].

فـ«الحَزَن»: على الأُمور الماضية التي لا يمكن رَدّها ولا استدراكها[٢].

(١) ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهَم والحَزَن، والعجز والكسل والجُبن والبُخْل، وضَلَع الدّين، وغَلَبة الرِّجال» رواه البخاري ومسلم.

(٢) قال ابن القيم رحمه الله: «فالحزن هو بلية من البلايا التي نسأل الله دَفْعَها وكَشْفها، ولهذا يقول أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤] فحمدوه على أن أذهب عنهم تلك البلية ونجاهم منها». اهـ.

قلتُ: وحياة العبد على أطوار...

• فَطَورٌ مضى ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤]، فلا تأسى عليه، ولكنجدد حياتك بتجديد أهدافك ووسائلك المشروعة وطموحاتك وهمتك.

• وطورٌ أنت فيه، وصدق من قال:

ما مضى فات والمؤَمَّلُ غيبٌ ... ولك الساعة التي أنتَ فيها

و«الهَمَّ»: الذي يَحْدث بسبب الخوف من المستقبل.

فيكون العبدُ ابنَ يومه، يجمع جده واجتهاده في إِصلاح يومه ووقته الحاضر، فإنَّ جمع القلب على ذلك يوجبُ تكميل الأعمال، وَيَتَسَلَّى به العبد عن الهَمِّ والحزن.

والنبي ﷺ إذا دعا بدعاء أو أرْشَد أُمَّته إلى دعاء؛ فهو يَحُثُّ مع

نعم لك هذا الطور، وهو جديرٌ بإهتمامك، واجتهادك، وجدِّك ... بل بالصبر والبذل فتنجح وتفلح.

• وأما المستقبل فـ... «علمهُ عند ربي في كتاب» ... نعم... هو من الغيب، ومن الجهل إعمالُ العقل في أمورٍ لم تقع بَعْدُ، ولو وقعت، كيف تكون، ومتى؟ ... هذا جنونٌ وسفه.. إن هذا من صرف الطاقات وتضييع الأوقات.. ولقد دعى عقلاء بني البشر لقاعدة عظيمة أصلها في الحنفية السمحاء ... «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح... » الحديث...

وهي «يومك ... يومك».. فإن أراد العبد النجاح والفلاح، والتقدم فلابُدَّ من اغتنام الأيام، والساعات والدقائق والثواني..، وجُدَّ واجتهد في اغتنام الأزمنة فإنما العمر الزمن؛ ويومك مزرعةٌ لغدك... وأحسن لا تعيش إلا في حدود يومك..

فيه حقق أمر ربك..

وأعط كُلَّ ذي حقٍ حقه..

واترك المستقبل حتى يأتي، فإذا أتى فتجشَّم له... وأعمل فيه، وبادر قبل أن تُبادر.. ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]. ولا تسبق الأحداث والأزمان.. فتأخذ البيضة من بطن الدجاجة، والثمرة قبل النضج.

ثم أعلم أن فتح كتاب الغيب يولِّدُ شرورًا للذهن، وشحنًا للعقل بما لا طائل من ورائه...، بل هو الموردُ للهموم والغموم والأحزان.. ولمخاوف المتراكبة، من المستقبل الآتي، ومن تأمينه، وليس هذا إلا من عَمَلِ البَطَّالين... ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٦٨]...

فاترك المستقبل حتى يأتي، فأنتَ في شُغلٍ عنهُ بيومك فإذا أتى فاهتبل الفرصة فقد لا تعود.. ا.هـ.

الاستعانة بالله، والطَّمع في فضله، على الجد والاجتهاد في التَّحقق لحصول ما يدعو لِحُصُوله، والتَّخَلِّي عما كان يدعو لدفعه؛ لأن الدُّعاء مقارن للعمل.

فالعبد يجتهد فيما ينفعه في الدِّين والدنيا، ويسأل ربه نجاح مقصده ويستعين به على ذلك.

كما قال ﷺ: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز وإذا أصابكَ شيءٌ فلا تقُل: لو أنَّي فعلتُ كذا كان كذا وكذا، ولكن قُل: قَدَرُ الله وما شاءَ فعل، فإنّ لو تفتح عمل الشيطان»[1].

فجَمعَ ﷺ بين الأمر بالحِرْص على الأمور النَّافِعة في كل حال والاستعانة بالله وعَدَم الانقياد للعجز الذي هو الكسل الضَّار، وبين الاستسلام للأُمور الماضية النافذة، ومُشاهدة قضاء الله وقدره[2].

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المُؤمنُ القَويّ خيرٌ وأحبُ إلى الله من المُؤمن الضعيف، وفي كُلٍّ خَيرٌ. احرص على ما يَنْفَعُكَ..» الحديث.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى، بعد أن ذكر الحديث: «فأمره بالحرص على ما ينفعه، والاستعانة بالله، ونهاه عن العجز الذي هو الاتكال على القدر، ثم أمره إذا أصابه شيء أن لا ييأس على ما فاته، بل ينظر إلى القدر، ويُسَلِّم الأمر لله، فإنه هنا لا يقدر على غير ذلك، كما قال بعض العقلاء: الأمور أمران: أمر فيه حيلة، وأمر لا حيلة فيه، فما فيه حيلة لا يعجز عنه، وما لا حيلة فيه لا يجزع منه» ا.هـ.
قلتُ: وإن مطالعة صحائف العمر التي مضت وتقليبها فيه تقليب للمواجع، واستحضارٌ للهموم، وجلبٌ للغموم، وهدمٌ لليوم الحاضر، والغد المشرق بمعول الآلام ... فهل يستجلب الهموم عاقل؟!! وهل يطرد السعادة لبيب ؟!!
والخُلاصة:

وجعل الأمور قسمين:

(١) قسمًا يمكن العبد السَّعي في تحصيل ما يمكن منه، أو دفعه أو تخفيفه: فهذا يُبْدي فيه العبد مجهوده ويَستَعين بِمَعبُوده.

(٢) وقسمًا لا يمكن فيه ذلك: فهذا يَطمئن له العبد ويرضى ويُسَلِّم.

ولا ريب أن مُرَاعاة هذا الأَصل سبب للسُّرور، وَزَوَال الهمّ والغمَ.

- أن إعمال الفكر فيما مضى بُلهٌ وحمقٌ وجنونٌ وعته.
- وإعمال الفكر فيما يأتي ويستقبل جهلٌ وتهور وركون.
- وإعمال الفكر فيما أنت فيه هو الحق، والصدق، ففيه النجاح والفلاح، والتقدم والإنتاج في الدارين بإذن الله»... ا.هـ.

فصل

5- ومن أكبر الأسباب لانشراح الصَّدر وطمأنينته: الإكثار من ذكر الله

فإن لذلك تأثيرًا عجيبًا في انشراح الصَّدر وطمأنينته وَزَوَال هَمِّه وغمه[1].

(١) فالذكر هو حياة القلوب، وقوت الأبدان، وغذاء الأرواح، بل هو من مزيلات الهموم والغموم كما قرر الشيخ.
وصدق من قال:
إذا مرضنا تداوينا بذكركمُ نترك لذكر أحيانًا فننتكسُ
به تُزال الهموم، وتُجلى الغموم، ويُفَّرجُ عن المحزون..
قلوب العباد لا تطمئن إلا بذكره...، وألسنتهم لا تنطق إلا بشكره، وأرواحهم لا ترتاح إلا برؤيته- نسأل الله الكريم من فضله.
قال بعض السلف:
ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنة إلا برؤيته ... جل في عُلاه.
بل قال بعضهم: الذكر سبعة أنحاء:
- فذكر العين بالبكاء.
- وذكر الأذنين بالإصغاء.
- وذكر اللسان بالثناء.

قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

فلذكر الله أكثر عظيم في حُصُول هذا المطلوب لخاصيته، ولما يرجوه العبد من ثوابه وأجره.

- وذكر اليدين بالعطاء.
- وذكر البدن بالوفاء.
- وذكر القلب بالخوف والرجاء.
- وذكر الروح بالتسليم والرضا... ا. هـ.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «لكلِّ شيء جلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل».

وقال شيخ الإسلام ..... حال السمك إذا فارق الماء» ا.هـ.

وقال ابن القيم رضي الله عنه: «الذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم» ا.هـ.

وقال رحمه الله أيضًا: «وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ في القلبُ اللسان وكان من الأذكار النبوية وشهد الذاكر معانيه ومقاصدهُ» ا.هـ.

يُرادُ من القلب نسياكمُ وتأبى الطباعُ على الناقلِ

وإن المحبَّ لديّانهِ يظلُّ على العهد مهما ابتُلي

وكان الثوري رحمه الله يُنشد:

لا لأني أنساك أكثرُ ذكراك ولكنّ بذاك يجري لساني

إذًا فهو لسعادة للأبدان، المزيلُ للأحزان، الكاشف للغموم، الطامس للهموم ... الشافي للقلوبُ، المطهر من أدران الدنيا، ... فلا إله إلا الله وحده لا شريك له.... لا إله إلا الله الحليم العظيم، لا إله إلا الله ربُّ العرش الكريم، لا إله إلا الله ربُّ السماوات وربُّ الأرض وربُّ العرش العظيم. لا إله إلا الله وحده لا شريك له... وهذا التوحيدُ هو أعظمُ الذكر لله عز وجل. ا.هـ.

6- وكذلك:
التَّحدث بنعم الله الظاهرة والباطنة

فـإن معرفتهـا والتحـدُّث بهـا يدفع اللـه به الهَـمّ والغم، ويحـثُّ العبد علـى الشـكر الـذي هـو أرفـع المراتـب وأعلاهـا حتـى ولـو كان العبد في حالـة فَقْـر أو مَـرَض أو غيرهمـا من أنـواع البلايا.

فإنـه إذا قابـل بيـن نعم اللـه عليه التي لا يحصـى لها عَدّ ولا حِسَـاب، وبيـن مـا أصابه مـن مَكروه، لـم يكن للمكـروه إلى النِّعم نسـبة.

بـل المكـروه والمصائـب إذا ابتلي اللـه بها العبـد، وأدَّى فيهـا وظيفة الصَّبـر والرِّضـى والتَّسـليم، هانـت وطأتها، وخَفَّـت مؤنتها.

وكان تأميـل العبـد لأجرها وثوابهـا، والتعبد لله بالقيـام بوظيفة الصَّبر والرَّضـى، يدع الأشـياء المُرّة حُلوة، فتُنسِـيه حلاوة أجرها مَـرارة صَبرها.

٧- ومـن أنفـع الأشـياء فـي هـذا الموضـع؛ اسـتعمال مـا أرشـد إليه النبـي ﷺ فـي الحديـث الصحيـح حيـث قـال: «انظـروا إلـى من هو أسـفل منكـم، ولا تنظـروا إلى مـن هو فوقكـم، فإنه أجـدرُ أن لا تَـزدروا نعمة الله عليكم»(١).

---

(١) رواه مسلم. قال ابن جرير وغيره: «هذا حديث جامع لأنواع من الخير؛ لأن الإنسان إذا

فـإن العبـد إذا نَصَب بيـن عينيه هذا الملحـظ الجليـل، رآه يفوق قطعًا كثيـرًا مـن الخَلق فـي العَافيـة وتوابعها، وفـي الـرِّزق وتوابعه، مهمـا بلغت بـه الحـال فيـزُول قَلَقُـه وهَمُّـه وغَمُّـه، ويـزداد سُـرُوره واغتباطه بنعـم الله التـي فـاق فيها غيـره ممـن هو دونـه فيها.

وكلمـا طال تأمـل العبد بنعم الله الظاهـرة والباطنة، الدينيـة والدنيوية رأى ربـه قـد أعطاه خيرًا كثيـرًا، ودفع عنه شُـرورًا متعددة.

ولا شك أن هذا يَدْفع الهُمُوم والغُمُوم، ويُوجِب الفَرح والسُّرور.

رأى من فُضِّل عليه في الدُّنيا طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله تَعَالَى، وحَرَص على الازدياد ليَلحَق بذلك أو يُقَاربه. هذا هو الموجود في غالب النَّاس، وأما إذا نظر في أُمُور الدُّنيا إلى من هو دونه فيها ظهرت له نعمة الله تَعَالَى عليه فشكرها، وتواضع وفعل فيه الخير» ا.هـ. من شرح النووي لمسلم.

فصل

8: ومن الأسباب المُوجبة للسُّرور وَزَوَال الهَم والغَم: السعي في إزالة الأسباب الجالبة للهموم وفي تحصيل الأسباب الجالبة للسرور

وذلـك بنسـيان مـا مضـى عليـه مـن المـكاره التـي لا يمكنـه ردهـا، ومعرفتـه أن اشـتغال فكره فيهـا من باب العبـث والمحـال، وأن ذلك حمق وجنو[١].

فيُجاهـد قَلبُـه عـن التفكُّـر فيهـا، وكذلـك يُجَاهـد قَلبُه عـن قَلَقِـه لما يسـتقبله، ممـا يتوهَّمـه مـن فقـرٍ أو خـوفٍ، أو غيرهمـا مـن المـكاره التـي يتخيَّلهـا فـي مسـتقبل حياته.

فيعلـم أن الأمـور المُسـتقبلة مجهولـة مـا يَقَـعُ فيهـا مـن خيـر وشَـرٍّ، وآمـال وآلام وأنهـا بيـد العزيـز الحكيـم، ليـس بيـد العبـاد منهـا شـيء إلا السَّـعي فـي تَحْصِيـل خيراتهـا، ودَفْـع مَضَرَّاتهـا.

(١) سبق الإشارة إلي هذا في حاشية الوسيلة الرابعة.

ويعلـم العبـد أنـه إذا صَـرَف فكـره عـن قَلَقِه من أجـل مسـتقبل أمره، واتـكل علـى رَبِّـه في إصلاحـه، واطمأن إليه فـي ذلك إذا فعـل ذلك اطمأن قلبـه وصَلُحت أحوالـه، وَزَالَ عنه هَمُّـه وقَلَقُه.

٩- ومـن أنفـع مـا يَكُـون في ملاحظـة مسـتقبل الأمور اسـتعمال هذا الدعـاء الـذي كان النبـي ﷺ يدعـو بـه: «**اللَّهُـمَّ أَصْلِـحْ لِـي دِينِـي الَّـذِي هُوَ عِصْمَـةُ أَمْـرِي، وَأَصْلِـحْ لِـي دُنْيَـايَ الَّتِي فِيهَـا مَعَاشِـي، وَأَصْلِحْ لِـي آخِرَتِي الَّتِـي إِلَيْهَـا مَعَـادِي وَاجْعَـلْ حَيَاتِـي زِيَادَةً لِـي فِي كُلِّ خَيْـرٍ، وَاجْعَـلِ الْمَوْتَ رَاحَـةً لِي مِـنْ كُلِّ شَـرٍّ**»[١].

وكذلـك قولـه ﷺ: «اللَّهُـمَّ رَحْمَتَـكَ أَرْجُـو، فـلا تَكِلْنِـي إِلَـى نَفْسِـي طَرْفَـةَ عَيْـنٍ، وَأَصْلِـحْ لِـي شَـأْنِي كُلَّـهُ، لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنْـتَ»[٢].

فـإذا لهـجَ العبـد بهـذا الدُّعـاء الـذي فيـه صـلاح مسـتقبله الدِّينـي والدّنيـوي بقلـبٍ حَاضِـر، ونيَّـةٍ صَادِقـة، مـع اجتهـاده فيمـا يحقـق ذلـك؛ حَقَّـق اللـه لـه مَا دَعَـاهُ وَرَجَـاهُ، وعمـل له وانقلـب هَمُّـه فَرحًا وسـرورًا[٣].

---

(١) رواه مُسلم.

(٢) رواه الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود وصحح إسناده الشيخ الألباني رحمه الله في تخريج«الكلم الطيب».

(٣) ومن الأحاديث الجامعة في هذا الباب؛ عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب عبدًا همٌّ ولا حزنٌ، فقال: اللهمّ إني عبدك ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القُرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حُزني، وذهاب همّي وغمّي، إلا أذهب الله همّه وغمّه، وأبدله مكانه فرحًا». قالوا: يا رسول الله: أفلا نتعلمهن؟ قال: «بلى، ينبغي

لمن سمعهُن أن يتعلمهُن». رواه أحمد. الألباني في «الصحيحة» به قال ابن القيم رحمه الله: «ولما كان الحزن والهم والغم يضاد حياة القلب واستنارته، سأل أن يكون ذهابها بالقُرآن، فإنها أحرى أن لا تعود، وأما إذا ذهبت بغير القُرآن من صحة أو دُنيا أو جاه أو زوجة أو ولد، فإنها تعود بذهاب ذلك. والمكروه الوارد على القلب إن كان من أمر ماضٍ أَحَدَثَ الحزن، وإن كان من مستقبل أَحَدَثَ الهَمّ، وإن كان من أمرٍ حاضر أَحدثَ الغَمّ، والله أعلم» ا.هـ.

فصل

10- ومن أنفع الأسباب لزوال القلق والهموم، إذا حصل على العبد من النكبات: أن يسعى في تخفيفها

بـأن يقدر أسـوأ الاحتمـالات التـي ينتهـي إليهـا الأمـر، ويُوَطِّن على ذلـك نفسـه، فـإذا فعل ذلك فَلَيَسْـع إلـى تخفيف مـا يمكن تخفيفه بحسـب الإِمكان.

فبهـذا التَّوطين وبهذا السَّـعي النافع، تـزول هُمومـه وغمومه، ويكون بـدل ذلك السَّـعْي فـي جَلب المنافـع، وفي دفـع المضار الميسـورة للعبد.

فـإذا حلـت بـه أسـباب الخـوف، وأسـباب الأسـقام، وأسـباب الفقر والعـدم لما يحبه مـن المحبوبات المتنوعـة، فليتلقّ ذلـك بطمأنينة وتوطين للنفـس عليهـا بـل على أشـد ما يمكـن منها.

فـإن توطيـن النفس علـى احتمـال المـكاره، يُهَوِّنهـا ويُزيـل شِـدَّتها وخصوصًـا إذا أشـغل نفسـه بُمدافعتهـا بحسـب مقـدوره.

فيجتمع في حَقه تَوطين النفس مع السعي النافع الذي يُشغِل عن الاهتمام بالمصائب، ويُجاهد نفسه على تجديد قوته المقاومة للمكاره، مع اعتماده في ذلك على الله، وحُسن الثِّقة به.

ولا ريب أن لهذه الأمور فائدتها العُظمى في حُصُول السرور وانشراح الصُّدور، مع ما يؤمله العبد من الثواب العاجل والآجل.

وهذا مُشاهد مُجَرب، ووقائعه ممن جرَّبه كثيرة جدًا.

فصل

11- ومن أعظم العلاجات لأمراض القلب العصبية، بل وأيضًا للأمراض البدنية:قوة القلب وعدم انزعاجه وانفعاله للأوهام والخيالات التي تجلبها الأفكار السيئة

لأن الإنسان متى استسلم للخيالات، وانفعل قَلبُه للمؤثرات من الخوف من الأمراض وغيرها، ومن الغضب والتَّشَوُّش من الأسباب المؤلمة، ومن تَوَقُّع حُدُوث المكاره وزَوَال المَحَاب، أَوقَعَهُ ذلك في الهُمُوم والغُمُوم والأمراض القلبية والبدَنية، والأنهيار العَصبي الذي له آثاره السَّيئة، التي قد شاهد الناس مَضَارها الكثيرة.

١٢- ومتى اعتمد القلب على الله، وتَوَكَّل عليه، ولم يستسلم للأوهام، ولا مَلكتهُ الخيالات السَّيِّئة، وَوَثَقَ بالله وطمع في فضله، اندفعت عنه بذلك الهُمُوم والغُمُوم، وَزَالَت عنه كثير من الأسقام البَدَنية والقَلبية، وحَصَل للقلب من القوة والانشراح والسُّرور ما لا يمكن التعبير عنه.

فكم مُلِئت المُستشفَيات من مَرضَى الأوهام والخيالات الفاسدة؟

وكم أَثَّرت هذه الأُمور على قلوب كثير من الأقوياء، فضلًا عن الضعفاء؟

وكم أدَّت إلى الحمق والجنون؟

والمُعَافَى من عَافَاهُ الله وَوَفَّقه لجهاد نفسه لتحصيل الأسباب النافعة المُقَوِّية للقلب، الدافعة لقلقه.

قال تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

أي: كافيه جميع ما يُهِمُّه من أَمْر دِينه ودُنياه.

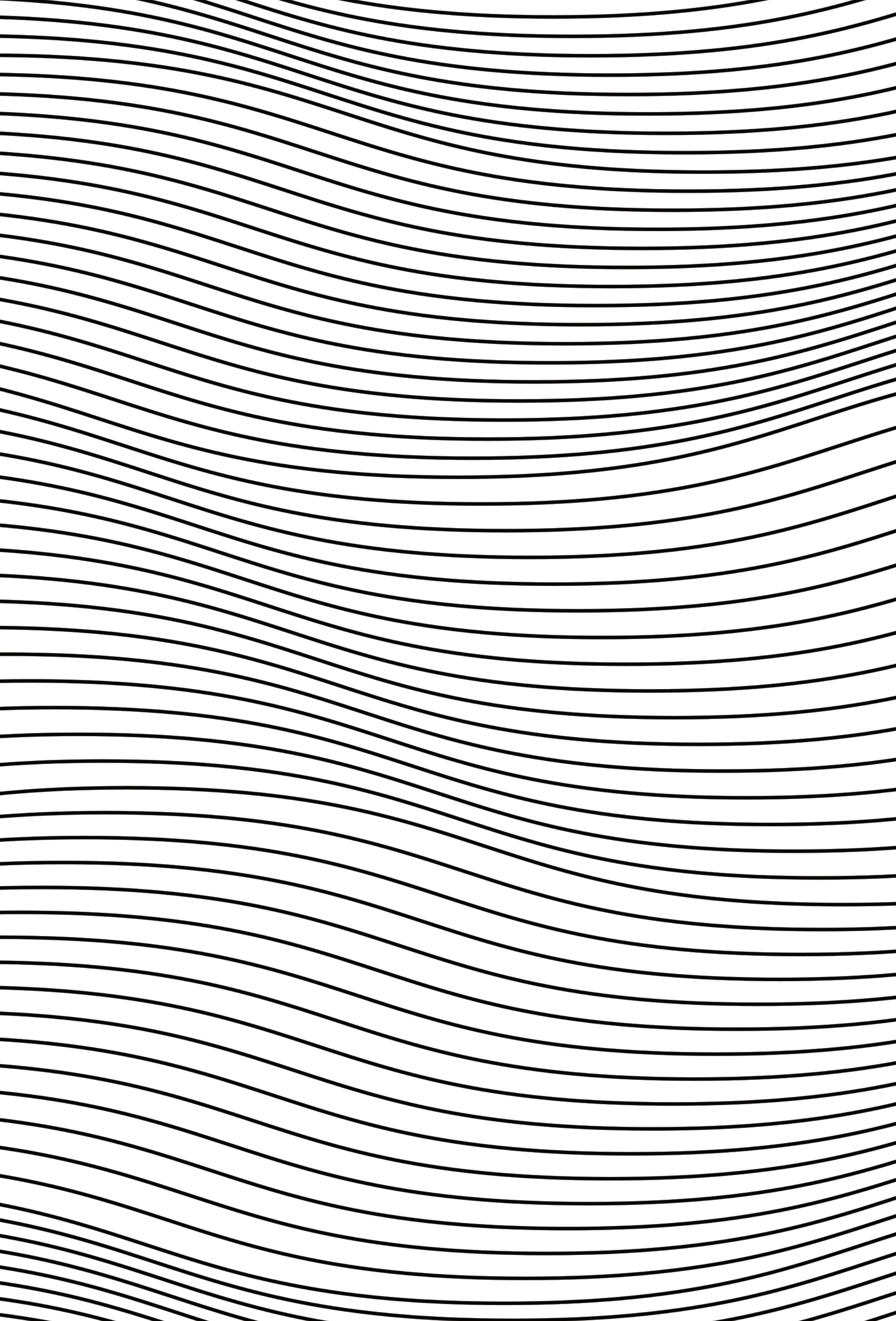
فالمُتَوكِّل على الله قَوِيُّ القلب[١]، لا تُؤَثِّر فيه الأوهام، ولا تُزعِجُه الحوادث لِعِلمه أن ذلك من ضَعف النَّفس، ومن الخور والخوف الذي لا حقيقة له.

ويعلم مع ذلك أن الله قد تَكَفَّل لمن توكَّل عليه بالكفاية التَّامَّة، فيثق بالله ويطمئن لوعده، فيَزُولُ هَمُّه وقَلَقُه، ويتبدَّل عُسره يُسرًا، وتَرَحُه فَرَحًا، وخَوفه أمنًا.

(١) يقول ابن القيم رحمه الله: «والتوكل يجمع أصلين: علم القلب وعمله. أما علمه: فيقينه بكفاية وكيله، وكمال قيامه بما وكَّلَهُ إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك. وأما عمله: فسكونه إلى وكيله وطمأنينته إليه وتفويضه وتسليمه أمره إليه ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه. فبهذين الأصلين يتحقق التوكل وهما جِمَاعُه» ا.هـ. من طريق الهجرتين.

ويقول أيضًا: «فمن حقَّق التوكل على الله لم يكله إلى غيره، وتولاه بنفسه، وتوكل بحفظه وهدايته وإرشاده وتوفيقه وتسديده، وإذا أخذله: وكَّله إلى نفسه أو إلى غيره» ا.هـ. من الفوائد.

فنسـألـه تَعَالَـى العافيـة، وأن يَتَفَضَّل علينا بِقُـوَّة القلب وثَبَاتُـه بالتوكل الكامـل الـذي تَكَفَّـل الله لأهله بـكل خير، ودفـع كل مَكـرُوه وضَير.



فصل

13- وفي قول النبي ﷺ: «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا، رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»[1] فائدتان عظيمتان:

إحداهما: الإرشاد إلى مُعاملة الزَّوجة والقَريب والصَّاحب والمُعَامل، وكل من بينك وبينه علاقة واتِّصال.

وأنه ينبغي أن تُوَطِّن نفسك على أنه لابد أن يكون فيه عيبٍ أو نقصٍ أو أمرٍ تَكرهه، فإذا وجدت ذلك، فَقَارن بين هذا، وبين ما يجب عليك أو ينبغي لك من قوة الاتصال والإبقاء على المحبة، بِتَذَكُّر ما فيه من المحاسِن والمقاصد الخاصَّة والعامة، وبهذا الإغضاء عن المَسَاوئ ومُلاحظة المَحَاسن تَدُوم الصُّحبة والاتصال وتتم الرَّاحة وتَحْصُل لك.

---

(١) رواه مسلم. قال القرطبي في المفهم: «قوله: لا يفرك مؤمن مؤمنة» أي لا يبغضها بعضًا كليًا يحمله على فراقها: أي لا ينبغي له ذلك، بل يغفر سيئتها لحِسنِها، ويتغاضى عما يكرهُ لما يُحِبُّ. وأصل «الفَرَك» إنما يقال في النساء. يقال: فركت المرأة زوجها تفركه، وأبغض الرجل امرأته. وقد استعمل الفرك في الرجل قليلًا، وتجوُّزًا، ومنه ما في هذا الحديث».

الفائدة الثانية: وهي زَوَال الهم والقلق وبقاء الصَّفاء والمداومة على القيام بالحقوق الواجبة والمستحبة، وحُصُل الرَّاحة بين الطرفين.

ومن لم يسترشد بهذا الذي ذكره النبي ﷺ، بل عَكَسَ القضية، فَلَحظ المَسَاوئ، وعَمَى عن المحَاسن، فلابد أن يقلق، ولابد أن يَتَكَدَّر ما بينه وبين من يَتَّصل به من المحبة، ويتقطع كثير من الحقوق التي على كل منهما المحافظة عليها.

وكثيرٌ من الناس ذوي الهِمَم العَالية، يُوطِّنون أنفسهم عند وقوع الكَوَارث والمُزعِجات على الصَّبر والطمأنينة، ولكن عند الأمور التافهة البسيطة يَقْلَقُون، ويتكدَّر الصَّفاء.

والسبب في هذا: أنهم وَطَّنوا نفوسهم عند الأُمور الكبار، وتركوها عند الأُمور الصِّغار، فَضَرَّتهم، وأَثّرت في راحتهم.

فالحازم يُوَطِّن نفسه على الأمور القليلة والكبيرة، ويسأل الله الإعانة عليها، وأن لا يَكِله إلى نفسه طَرفة عَينٍ[1]، فعند ذلك يَسهُل عليه الصغير، كما سَهُلَ عليه الكبير، ويبقى مطمئن النفس ساكن القلب مستريحًا.

---

(١) قال الحافظ ابن رجب: «ولا يَقوَى العبد على نفسه إلا بتوفيق الله إياه، وَتَوَلِّيه له. فمن عصمه الله وحفظه: تولاه ووقاه شح نفسه وشرها، وقوَّاه على مجاهدتها ومعاداتها. ومن وكَّلَهُ إلى نفسه: غَلَبَتهُ، وقَهَرته، وأَسَرَتهُ، وجرَّته إلى ما هو عين هلاكه إذا ظفر بعدوه المسلم، بل شر من ذلك؛ فإن المسلم إذا قتله عدوه الكافر كان شهيدًا، وأما النفس إذا تمكنت من صاحبها قتلته قتلًا يهلك به في الدنيا والآخرة... فلهذا كان من أهم المأمور: سؤال العبد ربه أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين». ا.هـ.

فصل

14- العاقل يعلم أن حياته الصَّحيحة، حياة السعادة والطمأنية،

وأنها قصيرة جدًّا، فلا ينبغي له أن يُقَصِّرها بالهمّ والاسترسال مع الأكدار، فإن ذلك ضد الحياة الصحيحة، فيَشِح بحياته أن يذهب كثير منها نهبًا للهموم والأَكدار ولا فَرق في هذا بين البر والفاجر، ولكن المؤمن له من التَّحَقُّق بهذا الوَصف الحظ الأوفر، والنَّصيب النافع العاجل والآجل.

١٥ - وينبغي أيضًا: إذا أصابه مكروه أو خاف منه؛ أن يقارن بين بقية النِّعم الحاصلة له دينية أو دنيوية، وبين مَا أَصَابَهُ من مكروه، فعند المقارنة يتضح كَثرة ما هو فيه من النِّعم، واضمحلال ما أصابه من المكاره.

وكذلك: يُقَارِن بين ما يخافه من حُدُوث ضَرَر عليه، وبين الاحتمالات الكثيرة في السَّلامة منها.

فلا يدع الاحتمال الضعيف يغلب الاحتمالات الكثيرة القوية،

وبذلك يَزُولُ همُّه وخوفه، ويُقَدِّر أعظم ما يكون من الاحتمالات التي يمكن أن تصيبه، فيُوَطِّن نفسه لحدوثها إن حدثت، ويَسعَى في دفع ما لم يقع منها، وفي دَفْع مَا وقع أو تخفيفه.

١٦- ومن الأمور النَّافعة: أن تعرف أن أَذِيّة النَّاس لك وخُصُوصًا في الأقوال السَّيئة لا تَضُرّك، بل تَضُرُّهم، إلا إن أشغلت نفسك في الاهتمام بها، وسَوَّغت لها أن تملك مَشَاعرك، فعندك ذلك تَضُرَّك كما تَضُرُّهم فإن أنت لم تُصْغ لها بالًا لم تَضُرّك شيئًا.

١٧- وأعلم: أن حياتك تَبَعٌ لأفكارك، فإن كانت أفكارًا فيما يعود عليك نفعه في دين أو دنيا، فحياتك طيبة سعيدة، وإلا فالأمر بالعكس.

11- ومن أنفع الأمور لِطَرْدِ الهَمِّ: أن تُوَطِّن نفسك على أن لا تطلب الشكر إلا من الله

فإذا أحسنت إلى من له حق عليك، أو من ليس له حق، فاعلم أن هذا معاملة منك مع الله، فلا تُبَالِ بِشُكر من أنعمت عليه كما قال تَعَالَى في حق خواص خَلقه: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩].

ويتأكد هذا في معاملة الأهل والأولاد، ومن قوى اتصالك بهم، فمتى وطَّنت نفسك على إلقاء الشَّر عنهم، فقد أَرَحْتَ واسترحت.

ومـن دواعـي الرَّاحة: أخـذ الفضائل والعمـل عليها بحسـب الداعي النفسـي الذي يقلقك.

وتعـود علـى أدراجـك خائبًـا مـن حصولـه الفضيلـة، حيث سـلكت الطريـق المتلـوي، وهـذا مـن الحكمة.

وأن تتخـذ مـن الأُمـور الكدرة أمـورًا صافية حلوة وبذلـك يَزيد صَفاء اللَّذات وتـزول الأكدار.

اجعـل الأمـور النافعـة نصـب عينيـك واعمـل علـى تحقيقهـا، ولا تلتفـت إلـى الأمـور الضـارة لتلهـو بذلـك عـن الأسـباب الجالبـة لِلْهَـمِّ والحَـزَن، واسـتَعِن بالراحـة، وإجمـاع النفـس علـى الأعمـال المهمـة.

20- ومن الأمور النافعة: حَسْمُ الأعمال في الحال والتَّفَرُّغ في المستقبل

لأن الأعمال إذا لم تُحْسَم، اجتمع عليك بقية الأَعمال السابقة، وانضافت إليها الأعمال اللاحقة فتَشْتَد وطأتها، فإذا حَسَمْت كل شيء بوقته أتيت الأمور المستقبلة بِقُوّة تفكير وقُوّة عَمَل(١).

٢١- وينبغي أن تتخير من الأعمال النَّافعة الأهم فالأهم، ومَيِّزْ بين ما تميل نفسك إليه، وتشتد رغبتك فيه، فإنَّ ضِدَّه يحدث السآمة والملل والكدر(٢).

واستعن على ذلك بالفكر الصَّحيح والمشاورة، فما ندم من

(١) وهذا من المعينات للعبد على إنشراح الصدر والسعادة فإن الفوضوية تحدث في النفس بلبلةً، وخلخلةً، فما يجعل صاحبها دائمًا في قلق، وما شرود ذهن، وتفكير دائم حتى يُتَّم عمله...

(٢) وفي الأعمال فاضل ومفضول، ومهم وأهم، فأبدأ بالأهم ثم المهم، من أجل اطمئنان البال، والشعور الدافع للنفس بالتقدم كما حققت نجاحًا.... ثم قدم من الأعمال ما كان أقربُ لنفسك، وأسهلُ على قلبك، لتُنجزهُ فتحقق نجاحًا وتقدمًا... وإبقاء شمعة خيرٌ من ذَمِّ الظلام كما في بعض الأمثال السائرة... ولأنك إن بدأت بما هو أحبُّ إلى نفسك كانت السآمة مدفوعةً عنك في طريقك، وواصلت العمل ولو زادت مشقته.

استشـار[١]، وادرس مـا تريـد فعلـه درسًـا دقيقًا[٢]، فـإذا تحققـت المَصلَحة وعزمـت فتـوكل علـى اللـه، إن اللـه يحـب المتوكليـن.

والحمـد للـه رب العالميـن، وصلـى الله علـى نبينا محمـد وعلى آلِهِ وصحبهِ وسـلم.

(١) وصدق من قال: شاور سواك إذا نابتك نائبةً يومًا وإن كنت من أهل المشوراتِ

(٢) وفي هذه الفقرة، يَحُثُّ الشيخ عبد الرحمن على التخطيط للأعمال... قبل القيام بها، لحصول أحسن النتائج، وأحبها، مما يعين على راحة البال في النجاح بالعمل...

عَشْرُ خصال .. لمتعة الحياة.. هي متعة الحياة ..

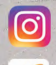
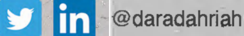
إن أتممتها فمن عندك وإنّ نقصتها .. فالأمر إليك فانظر في حالك.

عادات عشر لأهل السكينة الروحية تضئ مصابيح الدروب.. وتمنح الحب والوقاية والكفاية.

بها طيب النفس، وراحة البال، بعد الإيمان بذي الجلال والكمال سبحانه..





    @daradahriah

 dar adahriah

 www.daradahriah.com

 daradahriah@gmail.com